

وَاعْتَصِمُوا

وَاعْتَصِمُوا

الْوَحْدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَجَمْعَ كَلِمَةِ الْأُمَّةِ

فِي خُطَابَاتٍ

الْمَرْجِعُ الدِّينِيُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْيَعْقُوبِيُّ (دَامَ ظِلُّهُ)

دَارُ الصَّادِقِينَ

هوية الكتاب

هوية الكتاب:وَأَعْتَصِمُوا

تأليف:الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

الطبعة:الاولى

السنة: ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

طبع ونشر

دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول (ص)

هاتف: ٠٠٩٦٤ ٧٨١٠١٩٥٤٨٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين،
أبي القاسم محمد المصطفى، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد...

فإن الوحدة الإسلامية ليست شعاراً عاطفياً عابراً، ولا موقفاً
طارئاً تفرضه الظروف السياسية أو الاجتماعية، وإنما هي أصل قرآني
عظيم، ومنهج إلهي أراد الله تعالى للأمة الإسلامية أن تسير عليه؛ لأن
اجتماع القلوب على الحق، وتآلف المؤمنين، والتعاون على البر
والتقوى، من أهم مقومات حفظ الدين وبناء الحضارة وإقامة رسالة
الإسلام في الحياة.

وقد أكد القرآن الكريم هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿وَاغْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، فجعل الاعتصام بحبل الله تعالى طريقاً
لحفظ الأمة من التمزق، وربط بين قوة المسلمين ووحدتهم، وبين خطر
الفرقة والنزاع الذي يبدد الطاقات ويضعف الرسالة.

(١) آل عمران: ١٠٣.

كما بين القرآن الكريم أنّ الاختلاف في الآراء والاجتهادات لا ينبغي أن يتحول إلى تناحر وعداوة، وأنّ الأمة مهما تنوعت مدارسها ومناهجها تبقى جامعةً لأصول كبرى تجمع أبناءها، وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالى، وبرسوله الكريم (ﷺ)، وبالكتاب العزيز، والقيم الإسلامية المشتركة.

ومن هذا المنطلق كانت قضية الوحدة الإسلامية حاضرةً في فكر المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)، إذ لم يتعامل معها بوصفها قضيةً ثانويةً أو مطلباً إعلامياً، بل عدّها مسؤوليةً شرعيةً وحضاريةً ترتبط بمستقبل الأمة وقدرتها على مواجهة التحديات التي تستهدف وجودها وهويتها.

فقد دعا سماحته دام ظلّه في مختلف كلماته وخطاباته إلى تجاوز حالات التعصب والانغلاق، وإلى بناء جسور المحبة والتفاهم بين المسلمين، مؤكداً أنّ الاختلاف العلمي والفكري لا ينبغي أن يكون سبباً للقطيعة والبغضاء، بل يمكن أن يكون عاملاً للإثراء والتكامل إذا التزم المسلمون بأدب الحوار وروح الأخوة.

وقد تناولت كلماته موضوع الوحدة من زوايا متعددة؛ فتارةً ركّز على ضرورة توحيد الكلمة مع المحافظة على كلمة التوحيد، وتارةً دعا إلى استلهم سيرة النبي الأعظم (ﷺ) في جمع القلوب

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٩﴾

وتأليف الصفوف، وتارةً حذر من المشاريع التي تستثمر الخلافات لإضعاف المسلمين وتمزيق مجتمعاتهم.

ولم تكن هذه الدعوات مجرد رؤية نظرية، بل جاءت ضمن مشروع عملي يهدف إلى إعادة بناء الوعي الإسلامي، وترسيخ ثقافة الأخوة، وتقديم خطاب قادر على مخاطبة مختلف شرائح الأمة، انطلاقاً من قاعدة أن قوة المسلمين لا تتحقق إلا بتعاونهم وتكاملهم، وأن أعداء الإسلام إنما يستفيدون من الفرقة أكثر مما يستفيدون من أي عامل آخر.

ومن هنا جاء إعداد هذا الكتاب بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول الأعظم (ﷺ) - نبي المسلمين الذي يجتمعون على حبه ووجوب اتباعه - الممتدة من الثاني عشر إلى السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤٤٨هـ ليكون خطوةً في طريق نشر ثقافة الوحدة، وتعريف الأجيال بمواقف المرجعية الدينية وجهودها في هذا المجال، وجمع هذه الكلمات المتفرقة في مصنف واحد يسهل الرجوع إليها، ويكشف عن رؤية متكاملة للشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في بناء الأمة الواحدة المتماسكة.

إنّ هذا الكتاب لا يقدم مجرد مجموعة من النصوص المجموعة، بل يسعى إلى إبراز معالم مشروع فكري ورسالي يؤكد أنّ

﴿١٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الوحدة الإسلامية ليست تنازلاً عن المبادئ، ولا إلغاءً للخصوصيات، بل هي التزامٌ بالمنهج القرآني الذي يجمع الأمة على الحق، ويجعل التنوع وسيلةً للتكامل، لا سبباً للنزاع والفرقة.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يحفظ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)، ويمدّ في عمره المبارك لخدمة معارف القرآن الكريم وشرعية سيّد المرسلين محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعترته الطاهرين، وأن يوفّق المسلمين جميعاً للاعتصام بحبله، وتأليف قلوبهم، وجمع كلمتهم على الخير والهدى.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

هادي الكعبي - النجف الاشرف

٢٤ / صفر الخير / ١٤٤٨ هـ - ٩ / آب / ٢٠٢٦



المدخل

فَقْهُ الْوَحْدَةِ وَبِنَاءُ الْأُمَّةِ

مَعَالِمُ الْمَشْرُوعِ الْوَحْدَوِيِّ فِي فِكْرِ الْمَرْجِعِ الْيَعْقُوبِيِّ

المدخل

فِقْهُ الْوَحْدَةِ وَبِنَاءُ الْأُمَّةِ

مَعَالِمُ الْمَشْرُوعِ الْوَحْدَوِيِّ فِي فِكْرِ الْمَرْجِعِ الْيَعْقُوبِيِّ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إِنَّ مِنْ أَجَلِ النِّعَمِ الَّتِي أَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ جَمَعَهَا عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَوَحَّدَ وَجْهَهَا بِرِسَالَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابَهَا الْجَامِعَ، وَالْكَعْبَةَ قِبْلَتَهَا الْوَاحِدَةَ، وَرَبَطَ بَيْنَ أُنْبَائِهَا بِرِبَاطِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

وَلَمْ يَجْعَلِ الْإِسْلَامَ هَذِهِ الْوَحْدَةَ قِيَمَةً أَخْلَاقِيَّةً مُسْتَحْبَةً، تُسْتَحْضَرُ فِي أَوْقَاتِ الصَّفَاءِ وَيُسْتَغْنَى عَنْهَا عِنْدَ التَّنَازُعِ، بَلْ جَعَلَهَا مِنْ مَقَوِّمَاتِ قُوَّةِ الْأُمَّةِ وَقُدْرَتِهَا عَلَى حَمْلِ رِسَالَتِهَا؛ لِذَلِكَ قَرَنَ الْقُرْآنُ بَيْنَ الطَّاعَةِ

(١) الحجرات: ١٠.

﴿١٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ونبذ التنازع، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

والتعبير القرآني هنا يتجاوز التحذير من سوء أخلاقي يقع بين الأفراد إلى بيان سُنَّة اجتماعية؛ فالتنازع يؤدي إلى الفشل وذهاب القوة، ويحوّل الطاقات التي ينبغي أن تتوجّه إلى البناء والإصلاح ومواجهة التحديات إلى صراعٍ داخليٍّ يستنزف الأمة من داخلها.

ومن هنا فإنّ الحديث عن الوحدة الإسلامية ليس حديثاً عن قضية هامشية، ولا عن شعار موسميّ يتردّد في المؤتمرات والمناسبات، وإنّما هو حديثٌ عن أحد الشروط الكبرى لحفظ الدين، وصيانة المجتمع، وحماية الدماء والحرّمات، واستعادة الأمة قدرتها على النهوض بدورها الرسالي والحضاري.

المبحث الأول: الأساس القرآني للوحدة الإسلامية

١. الاعتصام: الوحدة بوصفها أمراً قرآنياً

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾^(١).

يقول سماحة المرجع العنبري دام ظله: «...وَحَدَّةُ الْأُمَّةِ وَعَدَمُ التَّفَرُّقِ تَحْتَ أَيِّ عُنْوَانٍ كَانَ، كَالطَّائِفَةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِ وَالْأَيْدِيُولُوجِيَّةِ وَالْإِنْتِمَاءِ الْعَشَائِرِيِّ أَوِ الْحَزْبِيِّ أَوِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَوِ الْفُنُويِّ أَوْ أَيِّ سَبَبٍ كَانَ؛ فَإِنَّ التَّفَرُّقَ مِنْ عَلَامَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ أَهَمَّ عَلَامَةٍ لِإِقَامَةِ الدِّينِ اجْتِمَاعُكُمْ وَوَحْدَتُكُمْ؛ لِأَنَّهُ يُنْظَمُ حَيَاتُكُمْ بِتَوَازُنٍ وَعَدَالَةٍ وَيُسْعِدُكُمْ، فَتَفَرَّقُكُمْ وَتَنَارِزُكُمْ يَعْنِي عَدَمُ إِقَامَتِكُمُ الدِّينِ...»^(٢).

هذا النص يضع الوحدة داخل معنى إقامة الدين نفسه، ويمنع حصرها في العلاقة بين المذاهب؛ إذ يذكر أسباب التفرق الدينية والقومية والحزبية والعشائرية والفئوية في سياق واحد، واللافت في تعداد سماحته دام ظله لعناوين التفرق أنه لا يختزل المشكلة في

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٢٣٧، الخطاب ٦٣٣، الطبعة ٢.

الانقسام المذهبي؛ فالطائفة والقومية والوطن والعشيرة والحزب والفئة كلها يمكن أن تتحول إلى أسباب تمزيق إذا صارت مرجعيات نهائية تزاخم الأصل الجامع؛ فالمشكلة، بحسب منطق النص، ليست في وجود الانتماءات الجزئية، وإنما في انتقالها من موقع التعريف والتنوع إلى موقع الولاء المتعصب الذي يعيد تشكيل الأمة في كتل متنازعة.

ومن ثم يمكن قراءة (الاعتصام) هنا بوصفه إعادة ترتيب للولاءات: لا يطلب من المسلم إلغاء هويته الاجتماعية أو الفقهية، وإنما أن تبقى هذه الهوية داخل الإطار الذي يحدده الدين ومصالح الأمة، وهذا يفسر لماذا سيؤكد سماحته دام ظله لاحقاً أن الوحدة لا تعني ترك القناعة المذهبية، وفي الوقت نفسه يحذر من تحويل القناعة إلى ذريعة للقطيعة؛ فمركز الاجتماع عنده ليس الغموض العقدي، بل وضوح المرجعية مع انضباط التعدد داخلها.

٢ / إقامة الدين وعدم التفرق

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١).

وَاعْتَصِمُوا.....﴿١٧﴾

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...هذه هي مسؤوليتنا التي نسعى بكل طاقتنا إلى أن نتشرف بالتصدي لها وحملها أسوة بالأنبياء العظام والأئمة الكرام (عليهم السلام)، فهي وصية الله تعالى ورسالتهم جميعاً: إقامة الدين في جميع مفاصل الحياة وتوحيد الأمة على ذلك، لا تثنيها عن ذلك سعة التحديات وخطورة العوائق وصعوبة المشاكل...»^(١)

ويتعاضد هذا النص مع آية الاعتصام: إقامة الدين ليست عملاً فردياً منعزلاً، وإنما تتطلب اجتماع الأمة على ما يقيم حياتها بالحق.

ويكتسب اقتران (إقامة الدين) بـ(عدم التفرق) دلالة أعمق من مجرد الحث على حسن العلاقات؛ إذ يجعل الاجتماع شرطاً من شروط ظهور الدين في المجال العام، فالدين الذي ينظم العبادة الفردية ثم يعجز أتباعه عن تنظيم اختلافهم وتعاونهم ومصالحتهم المشتركة يبقى حضوره الاجتماعي منقوصاً؛ ولهذا يصرح سماحته دام ظله بأن التفرق والتنازع يعنيان عدم إقامة الدين^(٢)، وهي صياغة ترفع الوحدة من منزلة الفضيلة المكملّة إلى منزلة المسؤولية الرسالية.

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٢٣٧، خطاب: ٦٣٣، الطبعة ٢.

(٢) من نور القرآن، ج ٦، ص ١٥٨، ط ٤.

وبهذا يتضح أن الوحدة ليست غاية مستقلة عن الدين، ولا وسيلة سياسية منفصلة عنه؛ بل هي صورة من صور فاعلية الدين في الاجتماع، وما سيأتي لاحقاً من حديث عن المؤسسات، والفقه المقارن، وتنقية الأجواء السياسية، ومقاومة الكراهية، يمكن رده إلى هذا الأصل: إقامة الدين تحتاج إلى مجتمع قادر على الاجتماع والعمل، لا إلى جماعات تستنزف بعضها بعضاً.

٣ / النهي عن التنازع وحفظ القوة

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله : «...هذه واحدة من الحقائق القرآنية التي تؤسس لنظرية سياسية واجتماعية لأنها تشخص سبب انهيار الدول وتفكك المجتمعات والشواهد التاريخية كثيرة في كل العصور...»^(٢)، «...الآية تنهى المؤمنين عن التنازع والتخاصم فيما بينهم وتحذره، بأن عاقبة هذا التنازع هو الفشل والضعف والانهمام لأنهم سينشغلون بهذا الصراع الداخلي عن

(١) الأنفال: ٤٦ .

(٢) موسوعة خطاب المرحلة ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ ، خطاب : ٤٥٥ ، ط ٢ . من نور القرآن ، ج ٣ ، ص ٥٤ ، ط ٤ .

وَاعْتَصِمُوا.....﴿١٩﴾

الاستعداد لمواجهة الأعداء وسينك قواهم وسيفقدون الثقة بأنفسهم ويحطم شخصياتهم ويذهب بحرمتهم وكرامتهم...»^(١).

فالقراءة القرآنية هنا تجعل أثر النزاع متعدياً إلى القدرة العامة للأمة، وهو المعنى الذي سيتكرر لاحقاً في حديثه عن بناء المجتمع، ووحدة الصف، ومواجهة الكراهية.

ويرسم النص القرآني - كما يقرأه سماحته - سلسلة سببية واضحة: النزاع يورث الفشل، والفشل يذهب بالقوة والهيبة؛ لذلك فإن معالجة التنازع ليست تجميلاً أخلاقياً للعلاقات، بل حفظ لشرط من شروط بقاء الأمة وقدرتها، ويظهر هذا المعنى بقوة في انتقال سماحته دام ظله من الحديث عن الخلافات داخل الأسرة أو الجماعة إلى الخلافات بين التيارات والمذاهب والدول؛ فالسنة الاجتماعية واحدة وإن اختلفت أحجام الجماعات.

ومع ذلك لا يساوي بين (الاختلاف) و(التنازع)؛ فالاختلاف قد يكون ثمرة طبيعية لتعدد المقدمات وطرائق النظر، بل قد يكون دليلاً على الإبداع؛ أما التنازع فهو الحالة التي يغادر فيها الخلاف مجال الحجة إلى مجال الخصومة والتسقيط والإلغاء، يقول سماحته دام ظله:

(١) المصدر نفسه : في شرح قوله تعالى (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا...).

﴿٢٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

«...وبتعبير آخر إن الخلاف بين الناس يمكن أن يحصل بسبب اختلاف الفهم أو النوايا أو بسبب تدخل الآخرين والعوامل الخارجية ونحو ذلك، وهو بهذا المقدار يبقى ضمن الأطار الطبيعي مادام المختلفون عازمين على أن يعودوا إلى حكم الشريعة وحاكمها والقيادة الشرعية الرسالية ليفصل بينهم وعليهم التسليم له وإن يكون مبتغاهم دائماً معرفة الحق واتباعه، فالتنازع المذموم إنما يقع من نقطة الابتعاد عن حكم الشريعة وأوامر القيادة الرسالية الحقّة والتشكيك فيها والتمرد عليها...»^(١)، وهذه التفرقة ستكون المفتاح الذي يصل الأساس القرآني بمبحث (فقه الخلاف) لاحقاً: المطلوب ليس إخماد التفكير، بل منع التفكير المختلف من التحول إلى قوة تفكيك اجتماعي.

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٣٠٧، خطاب: ٤٥٥، ط ٢. وينظر: من نور القرآن، ج ٣، ص ٥٤، ط ٤.

المبحث الثاني: الأسوة النبوية في بناء الجماعة المؤمنة

في بحث (حاجتنا إلى الأسوة الحسنة) لا يعرض سماحة المرجع العنقوبي دام ظله السيرة النبوية للتبرك التاريخي وحده؛ بل يسأل عن المعالم القابلة للاقتداء في مشروع الإصلاح وبناء الأمة^(١) ومن هذه المعالم يثبت نصوصاً صريحة في المسؤولية والوحدة:

١ / السيرة بوصفها منهجاً لبناء الأمة

في (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) لا يتعامل سماحته دام ظله مع السيرة النبوية باعتبارها سجلاً للفضائل الشخصية فحسب، بل بوصفها خبرة عملية في تأسيس أمة وتحويل قيم الوحي إلى علاقات ومؤسسات، يقول سماحته دام ظله : «...إننا اليوم أحوج ما يكون إلى عرض صورة الأسوة الحسنة في حياتنا، فنحن مسؤولون أكثر من أي وقت مضى عن دراسة حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته دراسة تحليلية، لكي نتمثلها في حياتنا، وتكون نبراساً لنا، ليس فقط في حياته الشخصية الخاصة، لكونه أكمل المخلوقات وأشرفها

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٣٠٣، ط ٢، ضمن مبحث: حاجتنا إلى الاسوة الحسنة.

﴿٢٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وأحقها بالإقتداء، وإنما أيضاً في حياته العامة، لكونه أعظم مصلح إجتماعي عرفته البشرية، ولكونه مؤسس خيرأمة أخرجت للناس من العدم، ولكون قيادته المباركة وفّرت للبشرية أسعد عصر من عصورها...»^(١)؛ ولذلك فإن استحضار المؤاخاة، وإطفاء فتنة الأوس والخزرج، والاهتمام بأمور المسلمين، ليس تذكيراً تاريخياً منفصلاً عن الحاضر، بل استخراج لمبادئ قيادة وإصلاح قابلة للتطبيق في المجتمع المعاصر.

وتبعاً لذلك فإن الوحدة النبوية لا تقاس فقط بغياب القتال بين المسلمين؛ بل بقدرة الرسالة على إعادة صياغة العلاقة بينهم: نقلهم من العصبية المتقابلة إلى الأخوة، ومن الفردية إلى المسؤولية المشتركة، ومن استدعاء الثارات إلى يقظة تمنع الفتنة قبل انفجارها. وهذه هي الخلفية التي ينبغي أن تُقرأ في ضوئها النصوص الثلاثة الآتية.

(١) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين ، ص ١٦ ، مؤسسة الرافد ، ط : ١ ، ٢٠١٣ م ، مجموعة محاضرات القيت على فضلاء واساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف في مسجد الرأس الشريف المحاذي لمقرّد امير المؤمنين (عليه السلام) وجامعة الصدر الدينية في مناسبات عديدة بين عامي ١٤٢١ - ١٤٢٣ هجرية المصادف ٢٠٠٠ / ٢٠٠٢ ميلادية وأعيد تسجيلها سنة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ ميلادية لقناة الانوار الفضائية.

٢ / الاهتمام بأمور المسلمين

يقول سماحة المرجع العنقوبى دام ظله: «...الاهتمام بأمور المسلمين، وهو (ﷺ) القائل: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنَادِي يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»، أين نحن من هذا الشعور بالمسؤولية وتذويب الأنانية لمصلحة الأمة، وهل يسوغ لنا أن نهتم بأنفسنا ونعتني بمصالحنا الخاصة ونترك حبل المجتمع على غاربه ولا تتحرك مشاعرنا لما يعانیه فنعمل على مساعدته بما نستطيع؟...»^(١).

بهذا يسبق الشعور بالمسؤولية أي بناء وحدوي: فلا معنى لوحدة لا يحمل فيها المسلم همّ مجتمعه وأمته؛ فالحديث لا يكتفي بتقرير حق المسلم على المسلم، وإنما يعيد تعريف موقع الفرد داخل الأمة، حين يذوب جانب من الأنانية لمصلحة الجماعة، تصبح هموم الآخرين جزءاً من مجال التكليف والاهتمام، وهذا هو الأساس الأخلاقي الذي يمنع الوحدة من التحول إلى مجرد شعار سياسي؛

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٣٠٣، ط ٢، ضمن مبحث: حاجتنا إلى الاسوة الحسنة.

فالإنسان الذي لا يشعر بآلام مجتمعه لا يستطيع أن ينتج اجتماعاً حقيقياً، حتى لو وافق لفظاً على دعوات الوحدة.

ويفسر هذا الأصل أيضاً اتساع خطاب سماحته دام ظله لاحقاً من النبي إلى الأئمة (عليه السلام)، حيث يصفهم بأنهم كانوا يعيشون آلام الأمة وآمالها^(١)، فالمسؤولية الوحدوية ليست تحيداً للخلافات فحسب، بل مشاركة في الهم العام، وهو ما يجعلها أعمق من «التعايش» بالمعنى السلبي.

٣ / منع أسباب الفرقة قبل وقوعها

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...التشديد على الوحدة بين المسلمين وعدم إعطاء أية فرصة لإيقاع الفرقة بينهم...»^(٢)، «...وذاوات يوم عمل بعض اليهود على الوقعة بين الأوس والخزرج، وذكّروهم بعداوتهم في الجاهلية ومن قُتل من أشرفهم، حتى ثارت عصبيتهم فتواعدوا القتال كما كانوا يفعلون في الجاهلية،

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، المحور الأول، النقطة ٦، ص ١٠٩، مؤسسة الرافد، ط: ١، ٢٠١٣ م.

(٢) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، ص ١٦، مبحث: حاجتنا إلى الأسوة الحسنة، النقطة الخامسة عشرة من معالم التأسي بالسيرة النبوية. وينظر: موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٣١٢، ط ٢.

فبلغ رسول الله (ﷺ) ذلك، فخرج مسرعاً يجرداءه حتى وافى القوم قبل أن يقع السيف بينهم، فوعظهم وذكّرهم، فتابوا وعادوا إلى رشدهم؛ فاحفظوا وحدتكم أيها الأحبة ولا تعطوا فرصة للأعداء ليوقعوا بينكم فلا يوجد شيء يستحق الاختلاف بيننا...»^(١)

النص نفسه يقرر المنهج: سرعة المبادرة قبل وقوع السيف، وقطع الطريق على استدعاء العصبية القديمة، وعدم ترك الفتنة حتى تصبح واقعاً يصعب علاجه.

تكشف عبارة «...عدم إعطاء أية فرصة...» عن منطق وقائي واضح: الفتنة لا تبدأ بالسيف، بل تبدأ غالباً من خطاب يستحضر جراح الماضي، أو يضخم خطأً جزئياً، أو يحول هوية فرعية إلى هوية صراعية. ومن ثم كانت المبادرة النبوية في قصة الأوس والخزرج قبل وقوع القتال، لا بعد أن تتراكم الدماء وتصبح المصالحة أكثر كلفة.

والقيمة التحليلية للقصة في خطاب سماحته أنها تنقل السيرة من الماضي إلى الحاضر مباشرة؛ إذ يختمها بقوله: «...فاحفظوا وحدتكم أيها الأحبة...». وهذا الانتقال يدل على أن الآلية التاريخية للفتنة قابلة للتكرار: قد تتغير الأطراف والوسائط، لكن استدعاء العصبية

(١) المصدر نفسه، واحال سماحته في هامش النص الى تفسير القرطبي، ج ٤، ص ١٥٥.

﴿٢٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وإعادة تعريف الناس بعداوتهم القديمة يبقى وسيلة فعالة لتمزيق الجماعة، ومن هنا تتأسس مسؤولية مبكرة للإعلام والخطاب الديني والسياسي في عدم توفير مادة الاشتعال.

٤ / التآلف أساس بناء الأمة

يقول سماحة المرجع العنقوبي دام ظله: «...وهذا التماسك والتآلف هو الأساس الرصين لبناء أمة مزدهرة متقدمة قوية، وترى أن رسول الله (ﷺ) أول ما عمل حين صدع بدعوته المباركة هي المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، ثم بعد ما هاجر أخى بين المهاجرين والأنصار كأول خطوة قبل أن يبدأ عمله الرسالي الواسع العظيم...»^(١)، «...وهكذا استطاع أن يبني رسول الله (ﷺ) دولته المباركة الحصينة في المدينة وانطلق منها ليفتح العالم؛ لأنه يعلم أنه لا تستقيم له دولة ولا يستطيع أن يبلغ رسالة ربه وأصحابه متقاطعون متباغضون...»^(٢).

يجعل هذان النصان التآلف شرطاً في بناء الدولة وحمل الرسالة، لا مجرد ثمرة لاحقة لنجاحها؛ فالنبي (ﷺ) - في قراءة

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٤٩٩ وما بعدها، خطاب: ٦٦، ط ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠٣: في بيان اثر المؤاخاة التماسك في بناء دولة المدينة وحمل المشروع الرسالي.

سماحته - يبدأ بالمؤاخاة قبل اتساع مشروعه الرسالي؛ لأن المجتمع المتقاطع يستهلك قيادته في معالجة نزاعاته الداخلية، بينما المجتمع المتماسك يحوّل طاقته إلى البناء والتبليغ، ومن هنا تتصل الوحدة مباشرة بمفهوم القدرة الحضارية.

وتكشف هذه القراءة أيضاً أن العلاقة بين الأخلاق والسياسة في مشروع الوحدة ليست علاقة خارجية: المصافحة، والتزاور، ونبذ القطيعة، وسلامة الصدر، كلها أعمال تبدو فردية، لكنها تنتج في مجموعها بنية اجتماعية قادرة على الثقة والتعاون؛ ولذلك لا يمكن بناء وحدة كبرى فوق شبكة علاقات يومية مشحونة بالتشهير والقطيعة وسوء الظن.

ومن الأسوة النبوية ينتقل سماحته دام ظله إلى أهل البيت (عليه السلام)، فيجعل حفظ وحدة المسلمين واحداً من أدوارهم المشتركة في حياة الأمة.

المبحث الثالث: الوحدة في منهج الأئمة (عليهم السلام)

١ / المحافظة على وحدة المسلمين :

تحت هذا العنوان يقول سماحة المرجع العنبري دام ظله: «...المحافظة على وحدة المسلمين: وهي من اسس وركائز المجتمع المسلم فلا غرو أن يحافظ عليها الأئمة (عليهم السلام) أيما محافظة ويضحون من أجلها بالغالي والنفيس تمسكاً بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾...»^(١)، «... (ويروى أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي الامام الكاظم (عليه السلام) ويشتم عليا (عليه السلام) فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتله فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم اشد الزجر وسأل عن العمري يوماً ف قيل له انه يزرع بناحية من نواحي المدينة فركب اليه الامام (عليه السلام) فوجده في مزرعته فدخل بحماره فصاح العمري: لا تطأ زرعنا فاستمر في طريقه حتى انتهى اليه فنزل وجلس عنده وجعل يضاحكه، ثم قال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ قال مائة دينار قال: فكم ترجو أن تصيب منه؟ قال: إنا لا نعلم الغيب، فقال له الامام: إنما قلت لك كم ترجو أن يجيئك منه، قال:

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، القسم الثاني، المحور الأول : النقطة الخامسة: المحافظة

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٢٩﴾

ارجو أن يجيئني مائتا دينار فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله فقام العمري وقبّل رأسه وانصرف فذهب الامام الى المسجد فوجد العمري جالسا فلما نظر اليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته وجعل يدعو لأبي الحسن (عليه السلام) كلما دخل وخرج). وبغض النظر عن تفاصيل الرواية فانها في الجملة شاهد على اهتمامهم بحفظ روح الالفه والمودة مع جميع المسلمين...»^(١).

وهاتان العبارتان من القسم الثاني في «دور الأئمة في الحياة الإسلامية» تحددان موقع الوحدة في قراءة الشيخ لسيرة الأئمة: وظيفة دينية وعملية متصلة بعلاقتهم بالأمة كلها.

ودلالة إدراج (المحافظة على وحدة المسلمين) ضمن الأدوار المشتركة للأئمة (عليهم السلام) مهمة؛ لأنها تخرج الوحدة من كونها موقفاً تكتيكياً ارتبط بظرف إمام بعينه، وتجعلها جزءاً من وظيفة القيادة الدينية تجاه الأمة، وهي وظيفة لا تلغي بيان الحق ولا تخفي موارد الخلاف، لكنها تضبط طريقة حضور هذا الخلاف في المجال الاجتماعي.

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، القسم الثاني، المحور الأول؛ النقطة الخامسة: المحافظة على وحدة المسلمين، ص ١١١، في بيان اهتمام الأئمة (عليهم السلام) بحفظ روح الالفه والمودة مع جميع المسلمين.

﴿٣٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ومن هنا يتضح أن سماحته دام ظله يقرأ سيرة الأئمة (عليهم السلام) على
مستويين متلازمين:

- مستوى حفظ الموقف العقدي والفقهية،
 - ومستوى حفظ أصل الجماعة الإسلامية من الانهيار.
- والجمع بين المستويين هو الذي يفسر النصوص اللاحقة في احترام
القناعة، والالتفات إلى المشتركات، والحوار بالتي هي أحسن.

٢ / الوحدة لا تعني التخلي عن القناعة

يقول سماحة المرجع العقبوي دام ظله: «...والوحدة مع
الاتجاهات الأخرى من المسلمين لا يعني تخلي الشخص عن قناعته
ومعتقداته التي ثبتت عنده بدليل قطعي معتبر، وإنما تبتني على
أسس ثلاثة:

الأول: تناسي الخلافات وعدم إثارة النعرات الطائفية وتعنيف من
يقوم بذلك.

الثاني: الالتفات إلى القواسم المشتركة التي تجمع المسلمين كلهم
فرئهم واحد وكتابتهم واحد وقبلتهم واحدة.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٣١﴾

الثالث: احترام كل طرف قناعة الطرف الآخر ما دام قد استند فيها إلى حجة ودليل معتبر شرعاً، والحوار بالتي هي أحسن للوصول إلى الحقيقة التي هي مطلب كل عاقل...»^(١).

هذه النصوص تغني عن كثير من الشرح: بقاء القناعة المذهبية، منع إثارة النعرات، البناء على المشتركات، احترام الحجة، والحوار للوصول إلى الحقيقة؛ ولذلك لا يحتاج مفهوم الوحدة هنا إلى افتراض إلغاء الخلاف كي يتحقق الاجتماع.

لكن التحليل الدقيق لهذه الأسس يكشف أنها ليست عبارات فقط، بل منظومة لإدارة الاختلاف؛ فـ(عدم إثارة النعرات) يضبط المجال الخطابي، و(الالتفات إلى القواسم المشتركة) يحدد مساحة العمل المشترك، و(احترام القناعة) يصون المسؤولية العلمية والأخلاقية لكل طرف، و(الحوار بالتي هي أحسن) يبقي باب الحقيقة مفتوحاً، وبهذا لا تتوقف الوحدة عند التسامح، بل تنظم العلاقة بين الهوية والحقيقة والاجتماع.

كما أن النص يرفض طرفين متقابلين: ذوبان الهوية باسم الوحدة، وتحويل الهوية إلى خصومة باسم الثبات، فالقناعة محفوظة

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، القسم الثاني، المحور الأول : النقطة الخامسة: المحافظة

على وحدة المسلمين، ص ١١٦ .

﴿٣٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

لأنها ناتجة عن حجة معتبرة، لكن احترام هذه القناعة لا يمنح صاحبها حق التحريض أو الإلغاء، وهذا التوازن هو من أهم ما يميز الرؤية؛ لأن كثيراً من مشاريع التقريب تفشل حين تفهم على أنها تنازل عن العقيدة، كما تفشل مشاريع الدفاع عن الهوية حين تتحول إلى صناعة عداوة دائمة.

٣ / الاختلاف سنة طبيعية لا مبرر للقطيعة

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...احترام كل طرف قناعة الآخر وأنه ما دام قد توصل إليه بطريق صحيح أو ما نعتبره بحجة شرعية تبرر له عند الحساب الاعتماد عليها، وأن نعلم أن الاختلاف في الرأي سنة طبيعية، فحتى داخل الأسرة الواحدة تجد القناعات مختلفة ولم يعكز ذلك صفو العائلة...، فلماذا لا نتصرف بنفس الأسلوب داخل أسرتنا الكبيرة وهو المجتمع فإنه أهم من أسرتنا الصغيرة وأعظم شأنًا؟...»^(١).

«...وأنت ترى أعداء الله ورسوله اجتمعوا على باطلهم واتحدت كلمتهم ضد الإسلام والمسلمين، فلماذا نتفرق عن حقنا؟...»^(٢).

(١) موسوعة خطاب المرحلة ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ، مبحث : الحوزة والمجتمع ، ط ٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٣٣﴾

ويضيف تشبيه المجتمع بالأسرة الكبيرة بعداً اجتماعياً مهماً: اختلاف القناعات لا يعني بالضرورة انهيار رابطة الجماعة؛ فالأسرة الواحدة قد تضم آراء متباينة مع بقاء المودة والمصالح المشتركة، والمجتمع أولى بأن يمتلك أخلاقاً ومؤسسات تسمح بتعدد الرأي من دون قطع رابطة الانتماء، وهنا يتحول الاختلاف من تهديد للهوية إلى واقع طبيعي يحتاج إلى قواعد إدارة.

٤ / العلاقة مع الأمة: من التعايش إلى المشاركة

لا تقف رؤية سماحته دام ظلّه في «دور الأئمة» عند منع الخصومة؛ فهو يقرأ توجيهات الأئمة (عليهم السلام) لأتباعهم في صلة المسلمين وحضور مناسباتهم وحفظ الجسور الاجتماعية بوصفها جزءاً من رسم العلاقة مع الأمة.

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظلّه: «...تعزيز الوحدة الاسلامية، ... وأمرهم (عليهم السلام) للشيعه بأن يجاملوا الطوائف الأخرى ويحضروا مناسباتهم الاجتماعية ويصلوا معهم صفوفهم الاولى^(١)»

(١) راجع وسائل الشيعة، مج ٥، كتاب الصلاة، ابواب صلاة الجماعة ، الباب ٥.

﴿٣٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ورصدوا لمن فعل ذلك ثواباً جسيماً...»^(١)، وهذه الممارسة تعني أن الوحدة لا تحفظ بالتصريحات وحدها، بل بكثافة العلاقات اليومية التي تمنع تحويل المختلف إلى مجهول أو خصم دائم.

ويعني ذلك أن الانتماء إلى مدرسة أهل البيت (عليه السلام) لا يفهم عند سماحته بوصفه انسحاباً من الأمة، بل موقعاً يحمل صاحبه مسؤولية إضافية تجاهها؛ فالأئمة (عليهم السلام) - بحسب هذه القراءة - لم يحصروا اهتمامهم في الدائرة الخاصة لأتباعهم، وإنما ظلوا معنيين بأحوال المسلمين العامة، وهو ما يربط هذا المبحث من جديد بالأصل النبوي: (الاهتمام بأمور المسلمين).

٥ / الحماية الوقائية من الاستغلال الطائفي

ومن دلالات هذا المنهج أن الحساسية المذهبية يمكن أن تتحول إلى ثغرة سياسية إذا استثمرتها قوى الصراع، يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...إن الاحتقان الطائفي والاختلاف المذهبي تؤجج ناره غالباً الصراعات السياسية التي تتمترس خلف

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، القسم الثاني، المحور الثاني : النقطة الخامسة: رسم علاقاتهم مع الأمة، ص ١٥٦ .

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٣٥﴾

الطائفية...»^(١)؛ فإثارة النعرات لا تبقى خطأً أخلاقياً فردياً عندما تستخدم لتعبئة الجماعات وإعادة توزيع الولاءات على أساس العداوة؛ بل تصبح أداة لتفكيك المجتمع وإشغاله بصراعات تستنزف مصالحه الكبرى.

لذلك يلتقي منهج الأئمة (عليهم السلام) هنا مع الوقاية النبوية التي ظهرت في قصة الأوس والخزرج: الحفاظ على الحق لا يقتضي ترك المجال مفتوحاً لمن يوظف الخلاف في التحشيد، بل يقتضي تمييز البحث العلمي عن صناعة الفتنة، وحفظ حق النقاش مع سد الطريق أمام تحويله إلى صراع أهلي.

وبهذا يصبح السؤال التالي علمياً: كيف يدار الخلاف نفسه حتى يبقى اختلافاً في الرأي ولا يتحول إلى توتر اجتماعي؟ وهنا تأتي مقدمة (فقه الخلاف).

(١) موسوعة خطاب المرحلة ، ج١٢ ، ص ٤٩٥ ، تنقية الأجواء السياسية عامل مهم لتحقيق الوحدة بين المسلمين.

المبحث الرابع: فقه الاختلاف وإدارة التنوع

١ / معرفة الآخر جزء من ثقافة الحوار

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...كما أن إشاعة مثل هذه البحوث التي هي جزء من ثقافة الحوار مع الآخر وفهم حججه مهما كان الموقف منها تساهم في التقارب وإزالة التشنج إذا تم التعامل مع الآراء بموضوعية وإنصاف؛ لأنها ستكسر حواجز الانغلاق والتعصب. وستجد العذر والدليل لمواقف الآخرين مما يخفف الاحتقان تجاههم، ونقصد بالآخر التنوع الفقهي داخل مدرسة أهل البيت (عليه السلام) ومع المدارس الأخرى خارجها، حيث سنتعامل معها بنفس الإنصاف والموضوعية والمعايير العلمية للترجيح...»^(١)، «...وفي ضوء هذا نعلم القيمة الكبرى لمثل كتاب «الخلافا» للشيخ الطوسي (قاسم) الذي يمثل مدرسة علمية منفتحة ومنصفة وموضوعية...»^(٢).

(١) فقه الخلاف: بحوث استدلالية في مسائل فقهية خلافية، ج ١: المقدمة، ص ٦، ط: ٢ مزيدة ومنقحة.

(٢) فقه الخلاف: بحوث استدلالية في مسائل فقهية خلافية، ج ١: المقدمة، ص ٦، ط: ٢ مزيدة ومنقحة.

هنا تصبح المقارنة الفقهية ممارسة للوحدة من داخل البحث العلمي نفسه؛ لأن (الآخر) في النص يشمل التنوع داخل مدرسة أهل البيت عليه السلام وخارجها، ولأن المعيار المطلوب واحد: الإنصاف والموضوعية والمعايير العلمية.

وتبرز هنا وظيفة معرفية للوحدة: إزالة التشنج لا تتحقق بإخفاء الحجج، بل بكشفها وفهمها؛ فالجهل بحجة المخالف يترك فراغاً تملؤه الصورة النمطية، أما قراءة الدليل من داخل بنيته فتسمح للباحث بأن يحدد موضع الخلاف بدقة، وقد يبقى الخلاف بعد ذلك قائماً، لكن صورته تتحول من اتهام شامل إلى مسألة محددة قابلة للنقاش.

وهذا التحول بالغ الأهمية اجتماعياً؛ لأن كثيراً من النزاع يبدأ من الخلط بين خطأ الرأي وسوء نية صاحبه، أو بين قول فرد وموقف طائفة بأكملها، حين تبني المعرفة على المصادر والإنصاف، تضيق مساحة التعميم، وتصبح اللغة العلمية نفسها أداة لتخفيف الاحتقان.

٢ / الإنصاف معيار للبحث لا مجاملة للمخالف

لا يستعمل سماحته دام ظله (الإنصاف) بمعنى التسوية بين الأدلة أو الامتناع عن الترجيح، وإنما بمعنى إخضاع الآراء لمعيار علمي واحد؛ فالمنهج المنصف قد ينتهي إلى رد رأي المخالف، لكنه يرفض

﴿٣٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

أن يسبق الحكم^{*} على الأشخاص والطوائف فحص الدليل، ومن هنا يصبح الإنصاف شرطاً معرفياً قبل أن يكون فضيلة اجتماعية^(١).

وتؤكد أهمية هذا الضابط في أن (الآخر) عند سماحته دام ظله لا يقتصر على المذاهب خارج مدرسة أهل البيت (عليه السلام)؛ بل يشمل التنوع الفقهي داخل المدرسة نفسها؛ وبذلك ينتقل فقه الاختلاف من كونه ملفاً للعلاقات بين الطوائف إلى منهج عام في إدارة التعدد العلمي: لا حصانة لرأي بسبب هوية قائله، ولا إسقاط لقائل بسبب اختلافه^(٢).

٣ / الفقه المقارن وتلاقح البحث

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...وإنما يتوسع ليشمل وجهات النظر المعروضة من قبل الأساطين وغير المعروضة مما يحتمل ورودها في المسألة ويقارن بينها بعد تحليلها وتقييمها

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ١٩٨، خطاب : ٥٧٠، «جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب»، وفيه الدعوة إلى دراسة ما عند الآخر «بموضوعية ومهنية وإنصاف» وعرض البحوث مقارنةً بعيداً عن التعصب والتحجر، مع الإشارة إلى تطبيق هذا المنهج في فقه الخلاف.

(٢) الدرر الأصولية في موسوعة فقه الخلاف، ص ٣٣٨-٣٣٩، ٣٧٠-٣٧١، مسألة ٥: في بحث حجية الشهرة وإعراض المشهور، ومسألة ٦: اختلاف أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، ط : ١، النجف الاشرف، ٢٠٢١ م.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٣٩﴾

ومعرفة أسباب اختلاف الفقهاء ومناشئ أقوالهم، وسيني تلاقحاً
فكرياً عميقاً، وسيعطي قدرة أكبر وصورة أوضح لاختيار الرأي
الأصوب...»^(١).

فالمطلوب ليس التسوية بين الآراء، بل فهمها ومقارنتها
وتقويمها بميزان واحد. ومن هنا تلتقي صرامة البحث مع تقليل
الاحتقان، من غير أن يطلب من الباحث التنازل عن نتيجته العلمية.

ومن ثم يؤدي الفقه المقارن وظيفتين في آن واحد:

- يثري الاستدلال؛ لأنه يوسع دائرة الأقوال والاحتمالات ومناشئ
الاستنباط،

- ويهذب علاقة الباحث بالاختلاف؛ لأنه يدرّبه على رؤية القوة
والضعف في الحجج بمعيار واحد.

وهذا ما يسمح بوصف (فقه الخلاف) بأنه بنية علمية لمشروع
الوحدة، لا لأنه يقلل عدد الآراء، بل لأنه يقلل شحنة الخصومة
المصاحبة لها.

(١) فقه الخلاف: بحوث استدلالية في مسائل فقهية خلافية، ج ١: المقدمة، ص ٦، ط: ٢
مزيدة ومنقحة، النجف الاشرف، ٢٠٢١ م.

﴿٤٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ويضاف إلى ذلك ما يشدد عليه سماحته دام ظله من أدب البحث وحسن الظن وإكبار العلماء؛ فطريقة عرض الرأي ليست مسألة شكلية، قد يصل الباحث إلى نتيجة صحيحة لكنه يهدم أثرها الاجتماعي إذا صاغها بلغة التحقير، كما قد يحفظ جسراً مع المخالف مع بقاء نقده العلمي إذا فصل بين مناقشة الحجة والطعن في الشخص، وبذلك تصبح أخلاق المعرفة جزءاً من هندسة الوحدة^(١).

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ١٩٨، خطاب : ٥٧٠، «جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب»؛ موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٤٧٤، خطاب : ٦٣، «مؤامرة خبيثة: القدح في العلماء ومحاولة تشويه صورتهم» .

المبحث الخامس:

فتح باب الاجتهاد وعلاقته بالوحدة والتقريب

١ / الاجتهاد وحرية النظر

يقول سماحة المرجع العقبوبى دام ظله: «...فتح باب الاجتهاد وإعطاء حرية النظر والاستنباط من المصادر الأصلية للتشريع...»^(١).

ويأتي هذا النص في سياق حديث سماحته دام ظله عن التعددية وحوار الحضارات، لجعل حيوية النظر والاجتهاد من خصائص المدرسة القادرة على التعامل مع التنوع العلمى.

والدلالة الأساسية هنا أن الوحدة لا تستلزم توحيد النتائج الاجتهادية قسراً، فإذا كان اختلاف الفقهاء ناشئاً من النظر المنضبط في الأدلة والمقدمات، فإن التعدد يكون نتيجة طبيعية لحيوية الاجتهاد، لا علامة على فشل الجماعة، وهذا ينسجم مع النص السابق في أن (الاختلاف في الرأي سنة طبيعية).

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٨، ص ٤٦٣، خطاب: ٤٠٧، التعددية الدينية في أفق حوار الحضارات».

وعليه، تميّز الرؤية بين وحدة الإطار الجامع وتعدد النتائج داخله: الأولى تحفظ الدين والأمة والمصالح الكبرى، والثاني يحفظ حركة العقل الفقهي، وإذا ألغى التعدد باسم الوحدة تحولت الوحدة إلى جمود، وإذا انفلت التعدد من ضوابطه وتحول إلى خصومة ضاعت الوحدة؛ ومن هنا تظهر الحاجة إلى الاجتهاد والإنصاف معاً.

٢ / فتح الاجتهاد خطوة عملية للتقريب

«...أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على ضرورة بذل الوسع لتحقيق وحدة المسلمين وإزالة الخلافات فيما بينهم؛ فإنها من أسمى المطالب التي نادى بها القرآن الكريم والسنة الشريفة، وذكر سماحته خطوتين مهمتين تفعّلان حركة التقريب والوحدة بين المسلمين...»^(١)، «...فتح باب الاجتهاد للعلماء المؤهلين لممارسة عملية الاستنباط من أهل السنة أسوة بإخوانهم الشيعة...»^(٢)، «...أما النقطة الثانية فقد جدّد فيها سماحة المرجع (دام ظلّه) دعوته لارتقاء مناهج الدراسة والبحث في الحوزات العلمية لأهل السنة حتى نحصل على مجتهدين أكفاء، لحصر

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٤٩٥، تنقية الأجواء السياسية عامل مهم لتحقيق الوحدة بين المسلمين»، في لقاء أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٦، الخطوة الثانية من الخطوات المقترحة لتفعيل حركة التقريب والوحدة بين المسلمين.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٤٣﴾

مرجعية الفتوى لدى أهل السنة بالعلماء المجتهدين الورعين الذين يجعلون رضا الله تعالى وصلاح الإنسان وكرامته الهدف الأسمى، ويستنبطون أحكام الشريعة من النصوص الدينية الصحيحة الواضحة... وبذلك نغلق الباب أمام فتاوى الضلال والانحراف والتخلف والجهل والتعصب...»^(١).

بهذا يكون فتح باب الاجتهاد جزءاً من معالجة البنية العلمية التي تنتج الفتوى والخطاب، لا شعاراً تجديداً منفصلاً عن مشروع الوحدة.

واللافت في خطابه دام ظلّه أنه يربط الإصلاح المعرفي بالعامل السياسي. فالتوتر المذهبي لا ينتج من الكتب وحدها، بل قد تغذيه الصراعات بين الدول والقوى المتنافسة، ولذلك يقترح مسارين متوازيين: تنقية الأجواء السياسية، ورفع مستوى الاجتهاد، وهذه الثنائية تكشف أن مشروع الوحدة عنده لا يفسر الانقسام تفسيراً واحداً، بل يلاحق مصادره في السياسة والمعرفة معاً.

كما أن حصر الفتوى بالعلماء المجتهدين المؤهلين - في منطق النص - ليس قضية مدرسية داخلية فقط؛ لأن الفتوى غير المؤهلة قد

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٧، في تفصيل دعوته إلى ارتقاء مناهج الدراسة والبحث وحصر مرجعية الفتوى بالعلماء المجتهدين المؤهلين.

﴿٤٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

تنتج التكفير والانحراف والتعصب، وهنا تتصل بنية الاجتهاد مباشرة بالأمن الاجتماعي: كلما ارتفعت كفاءة الاستنباط وورع المفتي، ضاقت مساحة الفتاوى التي تحول الانتماءات إلى صراع.

٣ / الاجتهاد المنضبط غير (الاجتهاد مقابل النص)

يقتضي ضبط المصطلح التمييز بين استعمال الشيخ الإيجابي للاجتهاد هنا وبين نقده لـ«الاجتهاد مقابل النص» في بعض الأبحاث التاريخية؛ فالممدوح هو حرية الاستنباط للمؤهل من المصادر الأصلية وفق القواعد، أما المذموم فهو تقديم الرأي الشخصي على النص الملزم، ولا تناقض بين الموقفين؛ لأن كليهما ينطلق من مركزية النص، لكن أحدهما يفتح باب فهمه واستنباط حكمه، والآخر يستبدله بالرأي^(١).

وهذا التفريق مهم في موضوع الوحدة؛ لأن الدعوة إلى الانفتاح لا تعني النسبية أو تذويب المرجعية الشرعية؛ فالتقارب الذي يريده

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٨، ص ٤٦٣، خطاب: ٤٠٧، التعددية الدينية في أفق حوار الحضارات». وينظر: موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٢٤١، خطاب: ٤٠٧، «ماذا خسرت الأمة حينما ولّت أمرها من لا يستحق». وينظر: موسوعة خطاب المرحلة، ج ٥، ص ١٩٥، خطاب: ١٦٩، «حوارات في الفكر الإسلامي: الحوزة العلمية والتيارات الوافدة».

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٤٥﴾

الشيخ يمر عبر بحث أقوى وأكثر مباشرة في الأدلة، لا عبر تعطيلها؛
ولذلك يجتمع في مشروعه فتح باب الاجتهاد مع احترام القناعة
المذهبية ومعايير الترجيح العلمي.

المبحث السادس: الوحدة ومواجهة العصبية

والكراهية والتكفير

١ / التعصب: انتقال المعيار من الحق إلى الانتماء

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...التعصب يعني الانحياز للانتماء الشخصي أو الفئوي والتشدد في الدفاع عنه بغض النظر عن كون موقفه حقاً أو لا؛ فالمقياس عنده نصرته جهته وليس نصرته الحق، ولو ظهر له الحق بالبرهان والدليل فإنه يصصر على ما هو عليه من معتقد أو موقف...»^(١)، «...وأشدّها خطورة وأكثرها قسوة التعصب المغلف بالعناوين المقدسة التي يراد منها سوق الناس لأغراض دنيوية... أو الفتن الطائفية التي تقع بين أتباع المذاهب داخل الدين الواحد...»^(٢).

(١) تفسير من نور القرآن، ج ٦، ص ٢٨٢، السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب،
فقرة «ما هو التعصب».

(٢) المصدر نفسه، في تعداد صور التعصب وبيان خطورة التعصب المغلف بالعناوين المقدسة
والفتن الطائفية.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٤٧﴾

وعند هذا الحد لا يعود الاختلاف هو المشكلة؛ بل يصبح التعصب هو الذي يمنع سماع الدليل ويحوّل الانتماء إلى مقياس للحق والباطل؛ فالانتماء في ذاته ليس موضع الذم؛ إذ للإنسان عائلة ومذهب ووطن وقومية وجماعة، موضع الخلل هو انقلاب ترتيب القيم، بحيث يصبح «نصر الجهة» هو المعيار حتى بعد ظهور الدليل، وعندئذ يتعطل الحوار من أساسه، لأن المتعصب لا يدخل النقاش طالباً للحق، بل طالباً لتثبيت هويته وموقع جماعته.

ولهذا يلفت سماحته دام ظله إلى خطورة التعصب المغلف بالعناوين المقدسة؛ فحين يلتبس المقدس بالمصلحة الفئوية يصبح الاعتراض على سلوك الجماعة كأنه اعتراض على الدين، وتغلق منافذ المراجعة العقلانية.

٢ / التكفير والتطرف ثقافة وفكر

«...لقد أكدت في كلماتي السابقة على ضرورة الدخول إلى عمق التفكير التكفيري ومعالجة مكامن الخطر فيه؛ لأن التكفير والتطرف ليس فعلاً أو حدثاً، وإنما هو ثقافة وفكر مبني على أسس تدفع الآخر للقيام بأفعال معينة معادية ذات طابع عدائي، فلا بد من معالجة وتفكيك بنيته الفكرية وخلق ثقافة مضادة له، والتنبيه والتعريف

﴿٤٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

بحجم الأخطار المحدقة بالدين الإسلامي والبلاد الإسلامية...»^(١)،
«...إن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية، ويعتمد أسلوب الحوار
والحجة والبرهان واحترام الآخر والعدالة بين جميع البشر...»^(٢).

هنا يغير سماحته دام ظله موضع المعالجة من (الفعل المتطرف)
إلى (الثقافة التي تنتجها)؛ فالتكفير لا يبدأ لحظة وقوع العنف، بل من
بنية فكرية تشرعن الإلغاء، ومن لغة تعمم الشذوذ على الطوائف، ومن
معرفة مشوهة بالآخر؛ ولذلك فإن الاقتصار على العلاج الأمني يبقى
متأخراً إذا لم تفكك هذه المقدمات.

ومن هذه الزاوية تتضح صلة جامعة المذاهب بمواجهة التطرف:
المؤسسة العلمية ليست مشروع علاقات عامة، بل بيئة تعيد تشكيل
المعرفة؛ يتعلم فيها الطالب قراءة المذهب الآخر من مصادره، وتمييز
الرأي المعتمد من الشاذ، وفهم السياق الذي صدرت فيه النصوص،
وهذا يقلل المادة المعرفية الخام التي يتغذى منها التكفير.

٣ / الكراهية هدم للألفة والوحدة

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ٣٠١، خطاب: ٥٩٢، جامعة المذاهب الإسلامية
مشروع ناهض للوحدة الإسلامية وللحد من مخاطر التكفير والتطرف الفكري والديني.
(٢) المصدر نفسه، في بيان أن الإسلام دين الاعتدال والوسطية ويعتمد الحوار والحجة
والبرهان واحترام الآخر والعدالة.

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله : «...فإن نشر الكراهية وإيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين من الجرائم الكبرى؛ لأنها تمزق الأمة الواحدة وتهدر طاقاتها وإمكاناتها... وتفقد عزمها وكرامتها وقوتها...»^(١)، «...فيريد الشيطان بإغراءاته ووساوسه تهديم هذين الغرضين الإلهيين: إقامة الدين وجمع أمر الناس، فلا بد من إفشال مشروع شياطين الإنس والجن بنشر المحبة والوئام والألفة والتسامح والتعاون على الخير...»^(٢)، «...وإنما ذكرت الخمر والميسر لأن الآية بصدد بيان تحريمهما، وإلا فإن أدوات الشيطان لإحداث الفتنة ونشر الكراهية والعداوة والبغضاء بين المؤمنين عديدة، وعلى رأسها إثارة العصبية القومية أو الطائفية أو العشائرية أو الحزبية أو الفئوية أو الحماس لرمز أو لفريق رياضي وأمثالها...»^(٣).

(١) تفسير من نور القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، قيس : نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان . وينظر : موسوعة خطاب المرحلة ، ج ١٤ ، ص ٥١٤ ، خطاب : ٧٧٦ .

(٢) المصدر نفسه، في بيان أن الشيطان يستهدف غرضي إقامة الدين وجمع أمر الناس.

(٣) تفسير من نور القرآن ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، قيس : نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان . وينظر : موسوعة خطاب المرحلة ، ج ١٤ ، ص ٥١٤ ، خطاب : ٧٧٦ ، في تعداد أدوات إثارة الفتنة والعصبية القومية والطائفية والعشائرية والحزبية والفئوية.

﴿٥٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

تجمع هذه النصوص بين تشخيص العامل النفسي والثقافي وبين العلاج: تفكيك التعصب والتكفير، وإنتاج ثقافة بديلة تقوم على الحوار والمحبة والوئام والتعاون.

ويضيف درس الكراهية مستوى شعورياً إلى المراحل السابقة: قد يكون الإنسان عاجزاً عن بناء حجة تكفيرية متماسكة، لكن الكراهية المتراكمة تكفي لتجعله مستعداً لقبول كل ما يسيء إلى الآخر؛ لذلك يعالج سماحته دام ظله صناعة البغضاء نفسها، ويضع في مقابلها برنامجاً إيجابياً: المحبة والوئام والألفة والتسامح والتعاون على الخير.

والأهمية هنا أن علاج الوحدة لا يعود محصوراً بالنخب؛ لأن مشاعر الكراهية تصنع في الخطاب اليومي، وفي المجالس، وفي الإعلام، وفي المنافسات الحزبية والعشائرية وحتى الرياضية، فكل بيئة تسمح بتحويل الانتماء إلى احتقار للآخر تهيئ شروط النزاع، وإن لم تتخذ بعد شكلاً مذهبياً أو سياسياً.

٤/ صلة تفكيك المجتمع بأدوات الحرب الناعمة

وبضم نصوص التعصب والتكفير والكراهية إلى ما يورده سماحته في حديثه عن أساليب تفكيك المجتمع، يمكن استظهار صلة مباشرة بموضوع الحرب الناعمة: فالخصم لا يحتاج دائماً إلى إلغاء

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٥١﴾

الأمة بالقوة الصلبة إذا استطاع أن يجعل مكوناتها تنظر بعضها إلى بعض بوصفها تهديداً: إثارة العصبية، وتضخيم الهفوات، وتعميم الاتهامات، وصناعة الكراهية، كلها أدوات تستنزف المجتمع من داخله.

يقول سماحة المرجع العنقوبي دام ظله: «...تمزيق وحدة المجتمع ونسيجه بإثارة التعصبات الطائفية والقومية والجغرافية والعشائرية والسياسية وسائر الانتماءات الأخرى...»^(١)

وعلى هذا الأساس تصبح الوحدة شكلاً من أشكال المناعة الاجتماعية: ليست مجرد اجتماع عاطفي، بل قدرة على منع الرسائل المحرّضة من إعادة برمجة الولاءات وتحويلها إلى صراع، وتحقيق هذه المناعة بالمعرفة المنصفة، وبالقيادة الواعية، وبأخلاق الخطاب، وبالمؤسسات التي تتيح التواصل قبل أن تملأ الصور النمطية فراغ المعرفة.

(١) تفسير من نور القرآن ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، قيس : «المسلمون وحرب الجيل الخامس... العراق أنموذجاً». موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢ ، ص ٨٦ ، خطاب : ٦٠٨ ، «السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب».

المبحث السابع: الوحدة والمشروع الحضاري للأمة

١ / وحدة الموقف وتنسيق العمل

يقول سماحة المرجع العنقوبي دام ظله: «...إن من عناصر قوتنا في هذه المرحلة العنصبة من حياة الأمة أن تتوحد المواقف وتنسق الأعمال وتتقارب الرؤى...»^(١)

في هذه المرحلة تنتقل الوحدة من المثال السيري إلى وظيفة القيادة وتنظيم العمل العام: سيرة الأئمة (عليهم السلام) تقدم مبدأ حفظ كيان الأمة، وخطابات الواقع العراقي تضيف ضرورة تنسيق المواقف والأعمال، وبذلك يبدأ المشروع في وصل المرجعية الدينية بمتطلبات إدارة المجتمع المتعدد.

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٩٥، خطاب: ٨، جماعة الفضلاء: الأهداف والأعمال.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٥٣﴾

يقول سماحة المرجع العقبوبى دام ظله: «...وحدة الصف بإزاء القضايا المصيرية وإن تعددت الرؤى واختلفت المناهج...»^(١).

وهذان النصان يضعان قاعدة للعمل العام: إمكان تعدد الرؤى والمناهج مع بقاء وحدة الصف في القضايا المصيرية.

والفرق بين «تقارب الرؤى» و«تطابقها» مقصود في بناء هذه الفكرة؛ فالعمل العام لا يشترط أن تتحد جميع الاجتهادات والبرامج، لكنه يحتاج إلى قدرة على تحديد القضايا المصيرية التي لا يجوز أن تتحول إلى ساحة تناحر، ومن ثم يظل التعدد قائماً في التفاصيل، بينما تنتظم الطاقات في الاتجاه الذي يحفظ المصلحة العامة.

وهذه الصيغة تتجاوز العلاقة بين المذاهب إلى القوى السياسية والاجتماعية داخل المجتمع الواحد؛ فهي تقترح نموذجاً لإدارة التعدد: اختلاف في المناهج، تنسيق في الأعمال، ووحدة في الموقف حين تتعلق المسألة بمصير الأمة؛ ولذلك ترتبط الوحدة هنا بمفهوم الفاعلية السياسية والاجتماعية، لا بالمجاملة.

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٢٩١، خطاب : ٣٥، ضرورة مشاركة العراقيين في العملية السياسية»، في الدعوة إلى وحدة الصف بإزاء القضايا المصيرية مع تعدد الرؤى والمناهج.

٢ / الوحدة شرط بناء الأمة

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله: «...وهذا التماسك والتآلف هو الأساس الرصين لبناء أمة مزدهرة متقدمة قوية...»^(١)، «...من هنا كانت المساعي المباركة لتوحيد الأمة وتآخيا ركناً أساسياً في إعادة هيبة الأمة الإسلامية وقوتها وممارستها لدورها الحضاري الرائد...»^(٢).

ينقل هذا النص الوحدة من وظيفة دفاعية إلى وظيفة إنشائية؛ فالمطلوب ليس فقط إيقاف النزاع حتى لا تنهار الأمة، بل تحرير طاقتها لكي تعود إلى البناء وممارسة دورها الحضاري، وبذلك تتكون سلسلة منطقية في الخطاب: الأخوة تقلل الاستنزاف، والتماسك يجمع الطاقات، واجتماع الطاقات ينتج القوة، والقوة المنضبطة تتيح التنمية والعلم والرسالة.

ولهذا لا تكون الوحدة غاية مغلقة على ذاتها؛ فالاجتماع الذي لا ينتج عملاً وبناءً يبقى ناقص الأثر، ومعيار نجاحه أن يتحول إلى

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٤٩٩، خطاب : ٦٦، العيد يرسخ ركني الإسلام: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».

(٢) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٣١، خطاب : ٧٥، الصدق في الدعوة إلى الوحدة والمؤاخاة»، كلمة إلى مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٢/٤/٢٠٠٥م.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٥٥﴾

قدرة على أداء الوظائف الكبرى: إقامة الدين، حفظ الكرامة، التنمية، مواجهة التحديات، وتقديم نموذج حضاري قادر على مخاطبة العالم.

٣ / من الدعوة إلى الوحدة إلى البرنامج المؤسسي

يقول سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله : «...توحيد الأمة والتقريب بين المذاهب الإسلامية عمل مبارك دعا إليه القرآن الكريم والقادة المعصومون (عليه السلام)، ولكي تنجح هذه المساعي فلا بد أن تتضمن برامج علمية وعملية...»^(١)، «...البرامج العلمية تتضمن اطلاع كل فريق على ما عند الآخر والاستفادة منه بموضوعية ومهنية وإنصاف، وأن تعرض البحوث على نحو مقارن بعيداً عن التعصب والتحجر...»^(٢)، «...إن هذا المنهج يساهم في تقارب وجهات نظر المسلمين وإزالة الحواجز المصطنعة بينهم ويفيد كلاً منهم مما عند الآخرين، وهو ثراث ضخم لا يصح إهماله، مضافاً إلى أنه يغني البحث ويفتح أمامه آفاقاً حقيقية لفهم النصوص الشرعية...»^(٣)، «...أما على صعيد الخطوات العملية فقد أشار سماحته إلى ضرورة تجنّب

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ١٩٨، خطاب : ٥٧٠، جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب»، لقاء طلبة جامعة المذاهب الإسلامية.

(٢) المصدر نفسه، في بيان البرامج العلمية للمشروع التقريبي.

(٣) المصدر نفسه، في بيان أثر المنهج المقارن في تقارب وجهات النظر وفهم النصوص الشرعية.

الاستفزازات وإثارة الفرقة والشحناء... وعدم تحميل الطائفة كلها مغبة بعض التصرفات والأقوال التي تصدر من بعض الأشخاص... وعلينا جميعاً الحذر من الأعداء المتربصين بنا الذين يريدون تمزيق وحدتنا وإشعال الحروب العنصرية بين أبناء الأمة مستخدمي الطائفية كأفتك سلاح...»^(١).

وهكذا ينتقل خطاب الوحدة من القيمة العامة إلى البرنامج: معرفة متبادلة، بحث مقارن، إنصاف مهني، تجنب الاستفزاز، وعدم تعميم أخطاء الأفراد على الطوائف.

ويظهر هنا نضج البعد المؤسسي في المشروع: المعرفة المتبادلة لا تترك للمصادفة أو لمبادرات أفراد، بل تدمج في الجامعة والحوزة والبحث المقارن، وبذلك تصبح الوحدة جزءاً من التكوين العلمي المستمر، لا فعالية موسمية تنتهي بانتهاء المؤتمر.

كما أن الجمع بين (البرامج العلمية) و(الخطوات العملية) يمنع اختزال التقريب في أحد الجانبين؛ فالمعرفة وحدها لا تكفي إذا بقي الخطاب السياسي والإعلامي مشحوناً، والسياسة الهادئة وحدها لا

(١) المصدر نفسه، في الخطوات العملية: تجنب الاستفزازات وإثارة الفرقة، وعدم تعميم أخطاء الأفراد على الطوائف، والحذر من توظيف الطائفية لتمزيق الأمة.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٥٧﴾

تكفي إذا استمرت المناهج في إنتاج جهل متبادل؛ لذلك يتطلب
المشروع إصلاحاً متزامناً في المعرفة والسلوك العام.

المبحث الثامن: الأبعاد المتكاملة للوحدة الإسلامية

في فكر الشيخ اليعقوبي

لا تفهم (أبعاد الوحدة) الآتية بوصفها عناوين اصطلاحية وضعها الشيخ في قائمة واحدة، وإنما هي تصنيف تحليلي يستند إلى النصوص السابقة ويكشف مجالات اشتغالها، والفائدة منه أنه يمنع حصر الوحدة في بعدها المذهبي، ويبين كيف تمتد من القرآن والعقيدة إلى الاجتماع والفقه والسياسة والمؤسسة والحضارة.

١ / البعد القرآني والرسالي

يتأسس هذا البعد على ثلاث دوائر نصية متصلة: الاعتصام بحبل الله يحدد مرجعية الاجتماع، والنهي عن التنازع يبين أثر الانقسام في ذهاب القوة، وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ يضع الوحدة داخل مسؤولية إقامة الدين. ولذلك لا تكون الوحدة

تدبيراً خارجياً يُضاف إلى التدين، بل جزءاً من الكيفية التي يظهر بها الدين في حياة الأمة^(١).

٢ / البعد العقدي والهوياتي

تؤكد نصوص (دور الأئمة) أن الوحدة لا تعني التخلي عن القناعة التي ثبتت بالدليل، وفي الوقت نفسه تمنع إثارة النعرات وتدعو إلى المشتركات والحوار، ومن هنا تحفظ الهوية من الذوبان، وتحفظ الأمة من تحويل الهوية إلى قطيعة، إن قوة هذا البعد في أنه لا يطلب من المختلف أن يتوقف عن الاعتقاد، بل أن يضبط أثر اعتقاده في علاقته بالآخر داخل الجماعة الإسلامية^(٢).

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٢٣٧، خطاب : ٦٣٣، «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه: مسؤوليتنا عن إقامة الدين ووحدة الأمة»، موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ٣٠٧، خطاب : ٤٥٥، «ولا تنازعوا فتفشلوا: درس في الألفة والأخوة من البعثة النبوية المباركة»، تفسير من نور القرآن، ج ١، ص ٢٣٦، قيس «واعتصموا بحبل الله جميعاً - أساس وحدة المسلمين».

(٢) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، القسم الثاني، ص ١٠٩، النقطة ٥: «المحافظة على وحدة المسلمين»، في حفظ القناعة المذهبية، ومنع إثارة النعرات، والالتفات إلى المشتركات، واحترام قناعة الآخر والحوار بالتي هي أحسن.

٣ / البعد الاجتماعي والأخلاقي

تبدأ الوحدة اجتماعياً من (الاهتمام بأمور المسلمين)، وتُصان بالتآلف والتزاور ونبذ القطيعة، وتهدد بالكرهية والبغضاء والنميمة والتشهير؛ ولذلك فإن الأخلاق الفردية ليست هامشاً في المشروع؛ لأنها المادة التي تُبنى منها الثقة العامة، كلما اتسعت ثقافة المحبة والتعاون ضاقت قابلية المجتمع للاستقطاب، وكلما شاعت لغة الاحتقار صار المجتمع أكثر استعداداً للانقسام^(١).

٤ / البعد الفقهي والمعرفي

يظهر هذا البعد في (فقه الخلاف) وفي الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد: المعرفة بالآخر، وفهم حجته، والإنصاف في عرضها، والمقارنة بين الأقوال، كلها تحوّل الاختلاف من مادة للتعبئة إلى مادة للبحث، والغاية ليست توحيد الفتاوى، بل بناء عقل فقهي يستطيع

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٢٩٠، بحث: حاجتنا إلى الأسوة الحسنة. وينظر: موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٤٩٩، خطاب: ٦٦، «العيد يرسخ ركني الإسلام: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة». تفسير من نور القرآن، ج ٢، ص ٢٥٤، قيس: نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان»

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٦١﴾

الاختلاف من غير أن يصنع عداً، ويستطيع التجديد من غير أن ينفصل عن النص^(١).

٥ / البعد السياسي والوطني

تكشف خطابات وحدة الصف وتنقية الأجواء السياسية أن جزءاً من التوتر المذهبي قد تصنعه المنافسات على السلطة والمصالح، ثم تلبس لباس العقيدة؛ لذلك يدعو سماحته إلى تقليل الفجوات بين الدول والقوى، وتخفيف الشحن الإعلامي، وتوحيد الموقف في القضايا المصيرية مع بقاء تعدد الرؤى، هنا تصبح الوحدة شرطاً للاستقلال في القرار ولتوجيه موارد المجتمع نحو البناء بدلاً من الاستنزاف^(٢).

٦ / البعد المؤسسي والتعليمي

(١) فقه الخلاف، ج ١، مقدمة البحث، ص ٦ وما بعدها، ط ٢. وينظر: موسوعة خطاب المرحلة، ج ٨، ص ٤٦٣، خطاب: ٤٠٧، «التعددية الدينية في أفق حوار الحضارات». موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٤٩٥، «تنقية الأجواء السياسية عامل مهم لتحقيق الوحدة بين المسلمين».

(٢) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٩٥، خطاب: ٨، جماعة الفضلاء: الأهداف والأعمال». ج ١٢، ص ٤٩٥ «ضرورة مشاركة العراقيين في العملية السياسية»؛ و«تنقية الأجواء السياسية عامل مهم لتحقيق الوحدة بين المسلمين».

يتجاوز المشروع مستوى النوايا حين يطالب ببرامج علمية وعملية، ويحتفي بجامعة المذاهب والبحث المقارن؛ فالمؤسسة تخلق معرفة مستقرة لا تتوقف على مناسبة أو شخص، وتكون أجيالاً تقرأ الآخر من مصادره، ومع انتقال التقريب إلى المناهج والجامعات والحوزات، تصبح الوحدة جزءاً من البنية التعليمية نفسها^(١).

٧ / البعد الوقائي والثقافي

من قصة الأوس والخزرج إلى بحث التعصب والتكفير والكرامية تتكرر فكرة واحدة: حماية المجتمع قبل الانفجار، وهذا يقتضي مراقبة مقدمات الفتنة، وتفكيك الصور النمطية، وعدم تعميم أخطاء الأفراد على الطوائف، ومنع تحويل الانتماءات إلى وقود للصراع، وبذلك يكتسب مشروع الوحدة وظيفة وقائية تتصل بالأمن الثقافي والاجتماعي للأمة^(٢).

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ١٩٨، خطاب: ٥١٨، جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب». وانظر أيضاً: فقه الخلاف، ج ١، المقدمة، ص ٦، ط: ٢، النجف الاشرف.

(٢) موسوعة خطاب المرحلة، ج ١، ص ٣٠٣، مبحث: حاجتنا إلى الأسوة الحسنة، في قصة الأوس والخزرج. موسوعة خطاب المرحلة، ج ١٢، ص ٨٦، خطاب: ٦٠٨، «السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب». موسوعة خطاب المرحلة، ج ١١، ص ٣٠١،

٨ / البعد الحضاري

يصرح سماحته بأن التماسك أساس لبناء أمة مزدهرة قوية، وأن توحيد الأمة وتأخيها ركن في استعادة هويتها ودورها الحضاري؛ فالوحدة في هذا البعد ليست حالة سكون، بل تحرير للطاقات: حين تقل كلفة الخصومة الداخلية يصبح بالإمكان توجيه الموارد إلى العلم والتنمية والإعمار والرسالة، ومن هنا تكون الوحدة بيئة للنهوض لا بديلاً عن النهوض^(١).

ومن مجموع هذه النصوص يمكن تعريف الوحدة - استقراءً - بأنها: اجتماع المسلمين على أصول الإسلام ومصالح الأمة الكبرى، مع حفظ الحق في الاجتهاد والقناعة المذهبية، وإدارة الاختلاف بالحجة والإنصاف، وصيانة الأخوة والحقوق والحرمات، ومنع التعصب والتكفير والكرامية من تحويل التنوع إلى تنازع، وتوجيه الطاقات المشتركة نحو إقامة الدين وبناء الأمة.

خطاب : ٥٩٢، «جامعة المذاهب الإسلامية مشروع ناهض للوحدة الإسلامية وللحد من مخاطر التكفير والتطرف الفكري والديني».

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٣، ص ٤٩٩، خطاب : ٦٦، العيد يرسخ ركني الإسلام: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة». موسوعة خطاب المرحلة، ج ٤، ص ٣١، خطاب : ٧٥ «الصدق في الدعوة إلى الوحدة والمواخاة».

ويكشف هذا التعريف لماذا لا يصح وضع «المذهب» و«الوحدة» على طرفي معادلة متناقضة؛ فالنصوص التي تؤكد احترام القناعة هي نفسها التي تمنع إثارة النزاعات، والنصوص التي تفتح باب الاجتهاد هي نفسها التي تحذر من التنازع، والنصوص التي تصر على المرجعية القرآنية هي نفسها التي تجعل التماسك شرطاً للقوة. المطلوب إذن هو الجمع بين وضوح الحقيقة وأخلاق الاجتماع، لا التضحية بأحدهما للآخر.

وتؤكد خصوصية هذا المشروع في أنه يبدأ من القرآن والسيرة، ثم يمر بالفقه والتربية والسياسة والمؤسسة، وينتهي إلى الحضارة؛ فالوحدة ليست نهاية الطريق، بل البيئة التي تسمح للأمة بأن تمارس وظيفتها: إقامة الدين، وحماية المجتمع، وصيانة كرامة الإنسان، والتعاون في القضايا المصرية، واستعادة القدرة على الإسهام الحضاري.

مسؤوليتنا اليوم

وعند هذه النتيجة تنتقل قضية الوحدة من دائرة البحث إلى دائرة التكليف؛ فالأمة التي دفعت أثمناً باهظاً للفتن الطائفية لا يسعها أن تتعامل مع خطاب التحريض بوصفه رأياً عابراً، ولا مع ثقافة التكفير بوصفها اختلافاً فقهياً، ولا مع الكراهية بوصفها انفعالاً عارضاً؛ لأن هذه المقدمات، متى تركت من غير وعيٍ ومسؤولية، أمكن أن تتحول إلى أدوات تمزيقٍ تستنزف المجتمع وتبدد طاقاته.

وتؤكد هذه المسؤولية في حق العلماء والخطباء وأصحاب المنابر والإعلاميين والمثقفين؛ لأن الكلمة في عصر الاتصال المفتوح لم تعد محصورةً في مجلسها أو جمهورها المباشر، بل قد تبلغ في لحظات ملايين الناس، فتكون أداةً للإصلاح وجمع القلوب، أو سبباً في توسيع الفجوة وإدامة الخصومة، ومن هنا تتعاظم مسؤولية التثبت، والإنصاف، وحسن اختيار اللغة التي تحفظ الحق من غير أن تصنع عداوة.

كما تقع على الحوزات العلمية والجامعات مسؤولية إعداد أجيالٍ تعرف قبل أن تحكم، وتقرأ مدارس المسلمين من مصادرها،

وتمييز بين الرأي العلمي ومادة التحريض، ولا تبني تصورهما عن ملايين المسلمين على مقطع مجهول أو نصٍّ مبتور، فالمعرفة المنصفة ليست ترفاً معرفياً في مشروع الوحدة، بل هي من أهم وسائل الوقاية من التعصب وسوء الفهم.

ومن هذه الزاوية يأتي هذا الكتاب، لا ليضيف عنواناً آخر إلى المكتبة الإسلامية فحسب، بل ليقدم مادةً تفتح أبواباً لمزيد من البحث في فقه الوحدة والاختلاف، والأخوة الإسلامية ومفهوم الأمة، والسياسة النبوية في علاج التعصب، والموقف من التكفير وحرمة الدماء وخطاب الكراهية، ودور المرجعية والفقه المقارن والمؤسسات العلمية في التقريب، وصلتها جميعاً بالمشروع الحضاري للأمة.

وتتوجه الدعوة بصورة خاصة إلى طلبة الحوزة العلمية للإفادة من المنهج المقارن الذي يؤكد عليه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)؛ لأن طالب العلم كلما اتسعت معرفته بمدارس المسلمين، وفهم أدلتهم ومناهجهم من مصادرها، كان أقدر على تشخيص موارد الاتفاق والاختلاف، وأبعد عن الأحكام التي يصنعها الجهل أو الانفعال. وليس المطلوب إلغاء الاختلاف العلمي؛ فهو من طبيعة البحث وحياة المعرفة، وإنما المطلوب أن يبقى الدليل طريقاً إلى الحقيقة، لا وسيلةً لتغذية الخصومة.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٦٧﴾

كما يفتح هذا المشروع أمام الكتاب والمثقفين مجالاً لدراسة رؤية الوحدة الإسلامية في كلمات سماحة المرجع العقبوبى (دام ظله) دراسةً مستقلة، ومقارنتها بتجارب أعلام النهضة والتقريب فى النجف الأشرف وقم المقدسة والأزهر الشريف؛ بما يكشف مواضع الامتداد والتجديد والتطوير فى الخطاب الإسلامى والحوزوى المعاصر.

ومن النجف الأشرف، مدينة أمير المؤمنين (عليه السلام) وحاضرة العلم والاجتهاد، يأتي كتاب «واعتصموا» شاهداً على إمكان الجمع بين رسوخ الهوية وسعة المسؤولية؛ فالمرجعية التي تصون العقيدة والفقه لا تنفصل عن همّ الأمة، وحفظ كيانها، وإطفاء أسباب الفتنة فيها، وتوجيه طاقاتها إلى ما يجمعها على الخير والحق.

وعلى هذا الأساس يراد لمفهوم الوحدة أن ينتقل من شعار إلى الوعي، ومن المناسبة إلى المنهج، ومن الخطاب إلى المؤسسة، ومن مجرد التعايش إلى التعاون والبناء؛ حتى يصبح اجتماع الكلمة قوة لإقامة الدين وبناء الأمة. ولعل عنوان الكتاب نفسه يلخص هذه الرسالة القرآنية الجامعة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

والله وليُّ التوفيق.

الباب الأول

الأساس القرآني والرسالي للوحدة الإسلامية

الباب الأول

الأساس القرآني والرسالي للوحدة الإسلامية

تنطلق قضية الوحدة الإسلامية في كلمات المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) من أصل قرآني يتجاوز الاعتبارات الظرفية والمصالح السياسية الآنية؛ فاجتماع الأمة وحفظ تماسكها جزء من الوظيفة التي أرادها الله تعالى لها، كما أن التنازع والتفرق ليسا مجرد خلل اجتماعي، بل عاملان مباشران في إضعافها وتعطيل قدرتها على إقامة الدين وأداء رسالتها. ومن هنا تتكرر في خطاب سماحته آيات الاعتصام بحبل الله، والنهي عن التنازع، وإقامة الدين وعدم التفرق فيه، بوصفها قواعد حاكمة لفهم واقع الأمة ومسؤولياتها. ويكشف هذا الباب أن الوحدة - في هذا المنهج - ليست مطالبة بإلغاء الاختلاف، وإنما هي حفظ للإطار الجامع الذي يمنع الاختلاف من التحول إلى صراع يستنزف القوة ويبدد الطاقات. وقد عبّر سماحته عن هذا الترابط بوضوح حين جعل من علامات إقامة الدين اجتماع الأمة ووحدتها، ورأى أن التفرق والتنازع يكشفان عن خلل في قيام الدين بدوره الاجتماعي.

﴿٧٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وفي ضوء هذه المرتكزات القرآنية والرسالية، تأتي الكلمات الآتية لتكشف كيف قرأ سماحة المرجع هذه الآيات في واقع الأمة، وكيف حولها إلى مسؤولية عملية في حفظ وحدتها وبناء قوتها :

• ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ - مسؤوليتنا عن إقامة الدين ووحدة الأمة﴾.

• ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا - درس في الألفة والأخوة من البعثة النبوية المباركة﴾.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)

مسؤوليتنا عن إقامة الدين ووحدة الأمة^(١)

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢).

الشرع كمصدر — هو نهج الطريق الواضح البين، وأطلق كإسم على المنهج الإلهي، والشارع هو الطريق الواضح وشريعة الماء: المكان السهل على جرف النهر لاستقاء الماء، وفي الآية دلالات عديدة:

١- ان أصحاب الشرائع والأديان هم هؤلاء الخمسة لأن الآية في سياق كونها جامعة لهم ولم تذكر غيرهم وهؤلاء هم اولو العزم وقد ورد هذا التحديد في آيات أخر، كقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك عام ١٤٤١ الموافق ٢٠٢٠/٧/٣١ م

(٢) الشورى: ١٣.

﴿٧٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

غَلِيظًا^(١)، ولازم ذلك عدم وجود شريعة بمعنى الاحكام والقوانين التي تنظم حياة البشر وترفع اختلافاتهم قبل النبي نوح (عليه السلام) وهو معنى تفيده الآية الكريمة: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ^(٢)﴾.

٢- ان الدين الذي أنزله الله تعالى إليكم — وهو الإسلام — والأديان التي سبقتها مصدرها واحد وهو الله تبارك وتعالى وهي الحقيقة التي افتتحت السورة بها، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٣)﴾ وأكدتها آيات أخر كقوله تعالى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ^(٤)﴾.

وفي ذلك لمسة روحية رقيقة تثبت قلوب المؤمنين وتطمئنهم خصوصاً العاملين الرساليين منهم الذين يتعرضون لضغوط اجتماعية ونفسية عظيمة بسبب حملهم رسالة الإصلاح فيحتاجون إلى تسلية ودعم معنوي كما يقال فتأتي هذه الآية وامثالها لتقول لهم: انكم لستم وحدكم على هذا الطريق الإلهي الواضح بل أنتم حلقة في سلسلة

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) الشورى: ٣.

(٤) فصلت: ٤٣.

طويلة من كرام الخلق وسادتهم عبر التاريخ كالمعنى الذي تكشف عنه زيارة الامام الحسين (عليه السلام) المعروفة ب ((وارث)) حيث تجتمع لديه وراثة جميع الأنبياء والمرسلين فيزيدهم ذلك ثباتاً وسروراً بما وفقهم الله تعالى إليه.

٣- وعلى غرار وحدة المصدر فانها تؤكد على وحدة الصادر أي مضمون هذه الرسائل بأنه واحد وان تنوعت بلحاظ الاجمال والتفصيل لكن ما تدعوهم اليه دين واحد وان تعددت الشرائع والطرق الواضحة البيّنة الموصلة إليه قال تعالى ﴿كُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(١) فأراد الله تعالى بهذا التنوع في الشرائع ليختبر طاعتكم وامثالكم وعدم تحيزكم وتحزبكم لشريعتكم السابقة، والدنيا دار الامتحان والاختبار وهذا التنوع في الشرائع ضرورة لتواكب ما يطرأ على البشرية من تغيرات حتى جاء بالشرعية الكاملة الخاتمة فكون الشريعة الإسلامية خاصة بالمسلمين وفق الآية الآنفة لا ينافي جامعيتها، والمطلوب منكم الالتزام بالطاعة والتسليم واستباق الخيرات. وفي ذلك حجة على أهل الكتاب ورفض لمواقفهم العدوانية تجاه الإسلام لأنها

﴿٧٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

لا مبرر لها بعد أن ثبت ان هذه الأديان كلها من مصدر واحد وبمحتوى واحد وعليهم جميعاً أن يدخلوا في هذا الدين لأنه جامع لكل الأديان السابقة وقيم عليها ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١).

٤- تلخص الآية ما تدعو اليه تلك الشرائع على محورين: إقامة الدين الواحد واتحاد الأمة على أساسه وعدم التفرق فيه ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٢) فعلى جميع المؤمنين بالله تعالى أن يلتزموا بهاتين الغايتين العظيمتين وان يبذلوا جهودهم في سبيل تحقيقهما والتعبير بـ (وصيْنَا) يشعر بهذا الاهتمام إذ لا يوصى الا بالشيء المهم، لأن الوصية لغة ((التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ)) قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقد عبر تعالى عن الدين بالأمر لأن الدين هو الطاعة أي طاعة الأوامر والتشريعات الإلهية، ولعل التعبير عن شريعة النبي (ﷺ) بـ (أوحينا) وعن شريعة الأنبياء الآخرين بالوصية ((ان المراد بما أوحى إليه ما اختصت به شريعته من المعارف والاحكام، وإنما عبر عن ذلك بالايحاء دون التوصية، لأن التوصية كما

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) المؤمنون: ٥٢.

(٣) الجاثية: ١٨.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٧٧﴾

تقدم إنما تتعلق من الأمور بما يهتم به ويعتني بشأنه خاصة وهو أهم العقائد والاعمال، وشريعته (ﷺ) جامعة لكل ما جلّ ودقّ محتوية على الأهم وغيره بخلاف شرائع غيره فقد كانت محدودة بما هو الأهم المناسب لحال أممهم والموافق لمبلغ استعدادهم))^(١).

فعلينا إذن واجبان عظيمان ورسالتان يجب ان نؤديهما هما خلاصة كل الأديان والشرائع:

١- إقامة الدين والمنهج الإلهي في الحياة بكل تفاصيلها، عباداتها ومعاملاتها وإقامة الشيء تعني توفيته حقه علماً وعملاً، إقامة الدين تتحقق بأن يتحول الدين إلى نظام شاخص في حياتنا تكون له الهيمنة والقيمومة على كل القوانين والتشريعات والأعراف والأنظمة وكل ما خالف الدين منها فهو عصيان لهذا الأمر الإلهي، وإن إقامة الدين لا بد أن تكون على أساس الشريعة الحاضرة الفعلية لا الشرائع السابقة ((فإن إقامة الدين في كل دور هي إقامة طاعة الله في أمره الحاضر في شرعته الحاضرة، فالتصلّب على الغابرة عصيان للأمر وتضييع للدين))^(٢).

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٨/١٨

(٢) الفرقان في تفسير القرآن: ٢١٧/٢٥

﴿٧٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^(١) لأن الدين أصول وفروع ومنظومة كاملة من العقائد والأخلاق والتشريعات العبادية وضوابط المعاملات لا تتحقق إقامة الدين الا بإقامتها^(٢) معاً.

٢- وحدة الأمة وعدم التفرق تحت أي عنوان كان كالطائفة والقومية والوطن والأيدلوجية والانتماء العشائري أو الحزبي أو الاجتماعي أو الفئوي أو أي سبب كان فان التفرق من علامات الجاهلية وان أهم علامة لإقامة الدين اجتماعكم ووحدتكم لأنه ينظم حياتكم بتوازن وعدالة ويسعدكم فتفرقكم وتنازعكم يعني عدم إقامتكم الدين، قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣) وتفرقكم يفرح الكفار ويدعوهم إلى التمسك بضلالهم لأنهم يرونكم

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) لاحظ رواية السيد عبد العظيم الحسيني عندما عرض دينه بين يدي الامام الهادي (عليه السلام) فإنه أتى على الأصول والفروع فقال له الامام (عليه السلام): «يَا أَبَا الْقَاسِمِ، هَذَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ فَأَثْبَتْ عَلَيْهِ ثَبَتَكَ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [مستدرك الوسائل: ٢٨٤/١٢].

(٣) آل عمران: ١٠٣.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٧٩﴾

متفرقين مثلهم ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١) والتفرق يحصل نتيجة اتباع الاهواء والشهوات والابتعاد عن الدين وتزيين المضللين والمنحرفين، وفي الحديث عن الامام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله): «وَمَا عَلَى دِينِي مِنْ اسْتَعْمَلِ الْقِيَاسَ فِي دِينِي»^(٢) لأن استعمال القياس يعني ادخال الرأي البشري والأهواء في الدين وهو ليس منه. والمطلوب في ضوء ما ذكرناه في الغاية الأولى وحدة البشرية جميعاً على الدين العالمي الخاتم الكامل فالتفرق في الدين الى يهود ونصارى ومسلمين فضلاً عن غيرها من الديانات والملل غير التوحيدية هي خروج عن سنة الله تعالى وفطرته التي أراد لخلقه السير عليها. فالأديان الإلهية وإن اتفقت على أصل التوحيد الا أن هذا لا بد أن يكتمل باجتماعهم على دين التوحيد أيضاً وليس فقط أصل التوحيد أي الشريعة الخاتمة أيضاً لأنها الطريق الواضح البين الى الله تبارك وتعالى بعد نزولها، فاللام هنا في الدين عهدية أي هذا الدين الذي شرع لكم، وان ما اختصوا به من احكام ثبت نسخه وارتفاعه. وقد خاطب القرآن الكريم جميع المتممين للرسالات السماوية بأن ادعاءهم هذا لا قيمة له اذا لم يقيموا الدين في حياتهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

(١) الروم: ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٤٥/٢٧.

﴿٨٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ^(١) وبالتأكيد سوف لا يذعن الأعداء والحساد والمتنفعون لهذا الأمر ولا يقفون مكتوفي الأيدي بل سيعملون بكل ما في وسعهم لمنع تحقيق هذين الهدفين ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(٢) أي عظم على الأعداء وتخرجوا من قبول ما تدعوهم — يا رسول الله — اليه من دين التوحيد ومن وحدة المعبود لأنهم يريدون آلهة متعددة لكل عشيرة إله ولكل حزب إله ولكل قوم إله وفي الروايات أنه كان حول البيت الحرام (٣٦٠) صنماً يتاجرون بها ويخدعون السذج والجهلة وتجلب لهم المصالح والامتيازات ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾^(٣).

وكبر عليهم ما تدعون اليه من الوحدة والوئام في ظل هذا الدين الواحد لأنهم تعودوا أن يكونوا أحزاباً متفرقين متصارعين ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤).

(١) المائدة: ٦٨.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) ص: ٥.

(٤) الروم: ٣٢.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٨١﴾

وكبر عليهم من قبل نزول الوحي عليك واختيارك للنبوة
والرسالة مع وجود من هو أكثر مالأً واولاداً منك فهو أجدر بنزول
الوحي بحسب زعمهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١).

وكبر عليهم ما تقوله من أن آباءهم واسلافهم كانوا على ضلال
وان عاقبتهم سيئة فتعصبوا لآبائهم.

كما كبر على أهل الكتاب خصوصاً اليهود أن يبعث نبي آخر
الزمان من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ
مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

ولكن الله تعالى يجيبهم جميعاً في نهاية الآية الكريمة بأن هذا
اختيار إلهي ليس خاضعاً لأهواءكم ومقاساتكم ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾^(٣) وهو سبحانه من اختار النبي الأكرم
محمداً (ﷺ) ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤) واختار دينه

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

﴿٨٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الإسلام ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) ولكن لا يدعن بهذه الحقيقة
الا من رجع الى الله تعالى بصدق وطلب منه الهدى والاستقامة
﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾^(٢).

ويمكن أن يكون معناها بناء على وحدة مرجع الضمير في
(اليه) في المواضع الثلاثة وهو دين التوحيد ان الله تعالى ((يجمع
ويجتلب الى دين التوحيد - وهو ما تدعوهم اليه - من يشاء من عباده
ويهدي إليه من يرجع اليه فيكون في معنى قوله ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣))).^(٤).

أيها الأحبة

هذه هي مسؤوليتنا التي نسعى بكل طاقتنا الى ان نتشرف بالتصدي لها
وحملها اسوة بالأنبياء العظام والأئمة الكرام (صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين) فهي وصية الله تعالى ورسالتهم جميعاً: إقامة الدين
في جميع مفاصل الحياة وتوحيد الأمة على ذلك لا تثنيانا عن ذلك
سعة التحديات وخطورة العوائق وصعوبة المشاكل، وأن لا يثبط

(١) المائدة: ٣.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠/١٨.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٨٣﴾

عزائمننا وساوس شياطين الانس والجن ولا نحرف مسارنا مثل ما فعلت
أحبار وكهنة الديانات السابقة عندما مالوا إلى الدنيا فاضطروا لتقديم
التنازلات حفاظاً على مصالحهم واستمالة لاتباعهم، فلا يحقّ لنا أن
ننزل بالدين إلى مستوى الناس وإنما يجب علينا أن نرتقي بالناس إلى
مستوى الدين واذا لم يستجيبوا فعلينا أن نضاعف الجهود ونخلص
النوايا ونتجرد عن الانانيات وننوّع آليات العمل من دون أن نتنازل عما
وصى به الله تعالى أنبيائه العظام.

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا^(١)

درس في اللفة والاخوة من البعثة النبوية المباركة

قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

الآية تنهى المؤمنين عن التنازع والتخاصم فيما بينهم وتحذرهم، بأن عاقبة هذا التنازع هو الفشل والضعف والانهازم لأنهم سينشغلون بهذا الصراع الداخلي عن الاستعداد لمواجهة الأعداء وسينهك قواهم وسيفقدون الثقة بأنفسهم ويحطم شخصياتهم ويذهب بحرمتهم وكرامتهم لأن كلاً من الطرفين المتنازعين يريد أن يتغلب على الآخر بأي ثمن فيبذل طاقته في تسقيط الآخر والبحث عن عيوبه ونقائصه وإظهارها للآخرين لكي يثبت أحقيته وغلبته، فيسقط الجميع بهذا

(١) كلمة وجهها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) عبر شاشة التلفزيون الى المؤتمر العام لفضلاء وخطباء ومبلغى محافظة بغداد المنعقد يوم السبت ٢٥ شعبان ١٤٣٦ الموافق ٢٠١٥/٦/١٣ وكان سماحته قد تحدث ببعض مضامينها في لقائه مع الزوار بمناسبة البعثة النبوية الشريفة يوم ٢٧ رجب ١٤٣٦ الموافق ٢٠١٥/٥/١٦.

(٢) الأنفال : ٤٦.

الانتقاص المتبادل ويفشلون.

ويؤدي الفشل الى ذهاب ريحهم أي عزّتهم وقوتهم وغلبتهم وتسير الامور على غير ما يريدون، وفي التعبير عن القوة بالريح رمزية وكناية دقيقة عن هذا المعنى لأن الريح هي التي ترفع الأشعة وتعطي القدرة لاندفاع السفن في البحار فإذا توقفت الريح فإن السفن تعجز عن الحركة ولم يتحقق الوصول الى الهدف المطلوب، كذلك فإن الريح تجعل الأعلام والألوية ترفرف مرتفعة في ساحة الحرب فتشعر بالقوة فإذا ذهب الريح انتكست الأعلام وخارت القوى.

هذه واحدة من الحقائق القرآنية التي تؤسس لنظرية سياسية واجتماعية لأنها تشخص سبب انهيار الدول وتفكك المجتمعات والشواهد التاريخية كثيرة في كل العصور ولعل أوضحها هزيمة المسلمين في الاندلس وانحسار دولة الإسلام عن تلك الأرض الاوربية بعد سلطة دامت حوالي ثمانمائة عام حينما انقسم المسلمون تبعاً للامراء وملوك الطوائف وتنازعوا وأصبح بعضهم يتآمر على بعض ويستقوي بالأعداء على اخوته.

ولا يختص الفشل وذهاب الريح والقوة بالجانب المادي وما يتعلق بالدنيا، بل تذهب القوة المعنوية أي روح الايمان وطمأنة القلب أيضاً، فتخسر الامة ريحها وروحها وروحها لان التنازع يوقع صاحبه في

الكبائر من اجل تحقيق الغلبة فيتورط في الغيبة والكذب والبهتان والافتراء والتجسس على خصمه ليضعفه وهذه كلها من الكبائر الموبقة، ويبرر لنفسه المداهنة والسكوت عن الباطل عند من يريد الاستقواء به على خصمه وينشغل تفكيره بالمجادلات والمنازعات عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة وهو من فعل الشيطان بهم وهكذا يذهب في منزلق خطير نحو الهاوية.

وهذه الامور مجرّبة ومعروفة في كل المنازعات مهما صغرت دائرتها او اتسعت كالخلاف بين الزوجين أو بين العائلة الواحدة على الميراث مثلا او النزاع بين عشيرتين أو حزبين سياسيين أو بين جماعتين أو بين مقلدي المرجعيات الدينية المتعددة، او بين طائفتين وغير ذلك، وهكذا يستهلك المجتمع الواحد قوته وامكانياته في هذه النزاعات ويفسح المجال واسعا لخصمه ليستحوذ على حقوقه التي فرط فيها .

روى الامام الباقر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «...مَنْ لَاحَى -اي خاصم ونازع- الرِّجَالَ سَقَطَتْ مَرْوَتُهُ وَذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): لَمْ يَزَلْ جَبْرِئِيلُ (عليه السلام) يَنْهَانِي عَنْ مَلَاخَةِ الرِّجَالِ كَمَا يَنْهَانِي عَنْ شَرْبِ الْخَمْرِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»^(١) وروى

عنه (ﷺ) قوله: «لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا»^(١) و عنه (ﷺ) قال: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحَقٌّ بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ»^(٢) - اي ما حولها خارج عنها - وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «إِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّهُ يَحْبُطُ عَمَلُكَ وَإِيَّاكَ وَالْجِدَالَ فَإِنَّهُ يُوْبِقُكَ وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهَا تَبْعِدُكَ مِنَ اللَّهِ»^(٣) وعن الامام الهادي (عليه السلام) قال: «الْمِرَاءُ يَفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ، وَيَحُلُّ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ - كالعلقة الزوجية او القرابة - وَأَقْلُ مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ الْمَغَالِبَةُ، وَالْمَغَالِبَةُ أَمْتَنُ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ»^(٤).

وبالعودة الى الآية الكريمة فإنها تعطي الحل لحسم النزاع وانهاؤه وهما أمران كفيلان بازالة اسباب النزاع ومنعه من أصله، وبتركهما يحصل التنازع وهما:

١ - التحاكم الى علماء الشريعة في كل اختلاف والتسليم والاذعان لحكمها سواء كان لمصلحته أو على خلافها، ولذا ابتدأت الآية بالأمر بطاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ) وطاعة القيادة الحقّة التي جعلها الله

(١) منية المريد: ١٧١.

(٢) منية المريد: ١٧٠.

(٣) تحف العقول: ٣٠٩.

(٤) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ١٣٩.

تعالى حجة على عباده، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) فالالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (ﷺ) والرجوع الى القيادة الحقة هما الضمان من وقوع التنازع او الانجرار اليه بسبب الاختلافات فالآية تشير الى سبيل تحقيق وحدة المسلمين ومنع تشرذمهم وهو ما عبرت عنه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: «وَجَعَلَ طَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمِلَّةِ وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا لِلْفِرْقَةِ».

وبتعبير آخر إن الخلاف بين الناس يمكن أن يحصل بسبب اختلاف الفهم أو النوايا أو بسبب تدخل الآخرين والعوامل الخارجية ونحو ذلك، وهو بهذا المقدار يبقى ضمن الاطار الطبيعي مادام المختلفون عازمين على أن يعودوا الى حكم الشريعة وحاكمها والقيادة الشرعية الرسالية ليفصل بينهم وعليهم التسليم له وان يكون مبتغاهم دائما معرفة الحق واتباعه، فالتنازع المذموم انما يقع من نقطة الابتعاد عن حكم الشريعة وأوامر القيادة الرسالية الحقة والتشكيك فيها والتمرد عليها، ومن نقطة اتباع الاهواء والانانيات والتعصب بحيث يجعل هواه وارادته هي المتبعة والحاكمة في الاختلاف وحينئذ يقترن به الشيطان ويسوّل

﴿٩٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

له ان الرضوخ للحق هو هزيمة واهانة واذلال بينما الصحيح هو ان الحق احق ان يتبع وطالبه هو الغالب دائما .

٢- الالتزام بالصبر لأن الاحتكام الى الشرع والعمل بالتوجيهات الشرعية على خلاف هوى النفس يحتاج الى مجاهدة ومصابرة فيامرنا الله تعالى بالصبر ويعدنا باحسن الجزاء وهو ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ معهم مطلقاً أي في كل الأحوال وفي الدنيا والاخرة، وكفى بهذه المعية حافزاً ودافعاً للصبر على القيام بما يريده الله تبارك وتعالى.

والآية صريحة بان التنازع يؤدي الى الفشل، لكن الاستفادة من غير موضع عكس ذلك أي أن الفشل هو سبب التنازع، قال تعالى فيما يتعلق بواقعة أحد ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾^(١) وقال تعالى في معركة بدر ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢) فالعلاقة بين الفشل والتنازع جدلية تلازمية حيث يؤدي كل منهما الى الآخر بمرتبة من المراتب، وقد اتضحت صورة اداء التنازع الى الفشل.

اما ان الفشل يؤدي الى التنازع فواضح ايضاً لسببين على الاقل:

١- ان التنازع لم يحصل الا عندما استسلم كل شخص لهواه

(١) آل عمران : ١٥٢.

(٢) الأنفال : ٤٣.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٩١﴾

واطماعه وفشل في مجاهدة نفسه والالتزام بما يريده الله تبارك وتعالى كالذي حصل في معركة أحد حينما اتبعوا أهواءهم وعصوا وصايا رسول الله (ﷺ) وتركوا مواقعهم لكي يشاركوا إخوانهم في جمع الغنائم ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾^(١) فحصل الفشل ثم التنازع كما في آية سورة آل عمران المتقدمة.

٢- إن الفاشل لا يريد أن يعترف بفشله ولا يحمل نفسه المسؤولية حتى يعالج الاسباب وانما يلتجأ الى التنازع ليغطي فشله بالتخاصم والتنازع مع الآخرين واطهار انهم فاشلون، اي انه بدل ان يرتقي الى مستوى الناجحين يعمل الى إنزال الناجحين الى مستواه الفاشل، وأتذكر هنا مثلاً طريفاً من الواقع فحينما كنّا صبياناً وكان بعض أصدقائنا يلعبون كرة القدم فإذا فاز فريقهم عادوا فرحين مستبشرين، وإن خسروا رجعوا يتلاومون ويحمل بعضهم الآخر مسؤولية الخسارة ويبحث كل واحد عن خطأ وتقصير الآخرين.

وهكذا في كل المجالات واسوء مثال لهذه الحال السياسيون المتصدرون للمشهد فانهم بسبب فشلهم الذريع في اداء مسؤولياتهم امام الشعب وانشغالهم بمصالحهم الشخصية وسرقة قوت الشعب فانهم يغطون على فشلهم بالمخاصمات والجدل العقيم وتبادل الاتهامات من

(١) آل عمران : ١٥٢.

﴿٩٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

دون ان يحلّوا اي مشكلة، ويؤدي بهم هذا التنازع الى فشل جديد وهكذا.

فالأزمة في العراق اليوم ليست ازمة مالية كما يعلنون لان مدخولات العراق الحالية تناهز ٥٠ مليار دولار أو أكثر وهي كافية لمثل سكان العراق، ولا أن سببها وجود الاجندات الخارجية ولا غيرها وان كان لكل منها شيء من التأثير، وانما سبب خراب العراق وانهيار الدولة حتى اصبحت نهباً للعابثين والطامعين والحاquدين هو فشل المتصدين وسوء ادارتهم وتنازعهم فيما بينهم على تحقيق مآربهم الشخصية والفئوية، فغطّوا فشلهم بالتنازع وادّى تنازعهم الى الفشل.

ولدى التأمل فان قوله تعالى ﴿فَتَفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ يكشف بالعلاقة العكسية ومن بعض الوجوه عن أن المجتمع والبلد الذي يعاني من التنازع وذهاب القوة والمنعة تحكمه قيادات فاشلة لا تستحق منح الثقة بها .

إن من أعظم النعم التي منّ الله تعالى بها على الامة بالبعثة النبوية الشريفة هو التاليف بين القلوب ونبد الخلافات والنزاعات قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٩٣﴾

تَهْتَدُونَ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾﴿٢﴾.

فلنستذكر هذه النعمة العظيمة ولنحرص عليها كما أمرنا الله تبارك وتعالى، ولتتعاهد في هذا اليوم المبارك على عدم الوقوع في التنازع والتقاطع والتخاصم قدر الامكان بفضل الله تبارك وتعالى.

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) الأنفال : ٦٢ / ٦٣.

الباب الثاني

الأسوة النبوية في بناء الجماعة المؤمنة

الباب الثاني

الأسوة النبوية في بناء الجماعة المؤمنة

لم يكن بناء المجتمع الإسلامي في التجربة النبوية منفصلاً عن بناء وحدته الداخلية؛ فقد أدرك رسول الله (ﷺ) أن الرسالة لا تستطيع أن تنطلق في مشروعها الكبير إذا بقي المجتمع أسير العصبية والتقاطع والتناحر. ولهذا يقرأ المرجع اليعقوبي سيرة النبي بوصفها مدرسة في صناعة الأمة، تبدأ بتأليف القلوب وإقامة المؤاخاة وتنقية العلاقات من أسباب القطيعة، ثم تنطلق بعد ذلك إلى إقامة الدولة وحمل الرسالة إلى العالم. وتكشف كلمات هذا الباب أن الوحدة في المنهج النبوي ليست مجرد معالجة للصراع بعد وقوعه، بل سياسة وقائية تقوم على بناء الألفة قبل الأزمة، وقطع الطريق على النميمة والتحريض وإثارة الأحقاد. ومن هنا كان التماسك والتآلف - في تعبير سماحته - أساساً لبناء الأمة المزدهرة القوية، وكان المجتمع الموحد شرطاً للقادرة على إنجاز المشروع الرسالي الكبير.

﴿٩٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وفي هذا الإطار، تعرض الكلمات الآتية جانباً من قراءة سماحته للسيرورة النبوية بوصفها منهجاً عملياً في تأليف القلوب، وبناء الجماعة المؤمنة، ومنع أسباب الفرقة قبل وقوعها :

- «العيد يرسخ... توحيد الكلمة»
- «الصدق في الدعوة إلى الوحدة والمؤاخاة»

العيد يرسخ ... توحيد الكلمة^(١)

... إن العيد يتكفل بترسيخ ... توحيد الكلمة من خلال عمليتين:
الأول: الحث على التزاور والمعانقة والمصافحة ونبذ القطيعة والتباغض والتشاجر، وهذه الأساليب العملية لها دور فعال في حفظ تماسك المجتمع المسلم ووحدته وسيادة روح الألفة والمحبة بين أفرادها فمن الأحاديث الواردة في المصافحة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا التَّقِيَا فَتَصَافَحَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَأَقْبَلَ بَوَجْهَهُ عَلَى أَشَدِّهِمَا حُبًّا لِّصَاحِبِهِ فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَوَجْهَهُ عَلَيْهِمَا تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا الذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ»^(٢) وغيرها كثير، ولما علم الله تبارك وتعالى أن الناس يشتغلون خلال السنة بتفاصيل حياتهم اليومية فتقل اللقاءات بينهم خصوصاً مع تعقيد الحياة المعاصرة؛ لذا جعل العيد فرصة ليجددوا هذه العلاقات ويزيلوا عنها ما شابها من الكدر ونزعات الشيطان.

وهذا التماسك والتآلف هو الأساس الرصين لبناء أمة مزدهرة متقدمة

(١) من خطبتي صلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٢٥ هـ.

(٢) الكافي: ١٧٩/٢.

﴿١٠٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

قوية، وترى أن رسول الله (ﷺ) أول ما عمل حين صدع بدعوته المباركة هي المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، ثم بعد ما هاجر آخى بين المهاجرين والأنصار كأول خطوة قبل أن يبدأ عمله الرسالي الواسع العظيم، وكان أصحابه (ﷺ) بمستوى المسؤولية فكان الأنصاري يتنازل للمهاجر عن نصف ماله حتى إذا كان له رغبة في إعطائه واحد وإذا كانت له زوجتان طلق واحدة وتزوجها المهاجر.

وهكذا استطاع أن يبني رسول الله (ﷺ) دولته المباركة الحصينة في المدينة وانطلق منها ليفتح العالم لأنه (ﷺ) يعلم أنه لا تستقيم له دولة ولا يستطيع أن يبلغ رسالة ربه، وأصحابه متقاطعون متباغضون يلعن بعضهم بعضاً، ويفسق بعضهم بعضاً فكان لا يسمع كلام أحدهم السيئ عن الآخر ويقول لهم (أحب أن امضي عنكم وأنا سليم الصدر)، وبذلك قطع هذه المادة الأساسية للتقاطع وسوء الظن وهي النيمة ونقل نقائص الآخرين وتشويه سمعتهم وتسقيطهم.

فما أحوجنا اليوم إلى وعي هذه العملية المباركة التي قام بها المصلح العظيم وباني دولة الإسلام العظيمة، ولو سألتني عن أهم معوق للعمل الإسلامي في الفترة التي تلت بعد سقوط الطاغية لأجبتك إنه هذا التقاطع والتشنج في العلاقات والتزاحم على المواقع الدينية والسياسية والاجتماعية -رغم أنها كلها إذا خلت من الإخلاص لله

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٠١﴾

تعالى فهي لا تعدو كونها دنيا زائفة وزائلة - مما أنهك الأمة وأضعفها وجعلها نهباً للأعداء يطمع فيها كل قريب وبعيد، وأضاع الكثير من فرص التقدم ومشاريع بناء الأمة المتكاملة وهدر الطاقات وأمات الآمال التي انتعشت في يوم ما.

إننا بإذن الله تعالى مقبلون على عملية انتخابات، وقد بذلت الأمة وقاداتها جهوداً مضنية لإقرارها حتى رضخت الأطراف المعنية، ونحن نريدها أن تكون نزيهة ومنافسة شريفة لتقدم الأكفاء وتحكيم إرادة الأمة في من يقودها، لكنهم سيعملون لتحقيق مصالحهم من خلال هذه العملية، وليس من الضروري أن تتطابق المصالح فستستمر حالة التجاذب والتدافع ليحقق كل طرف ما يريد ﴿لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

ومحل الشاهد أن من السليبيات المتوقعة والتي سيعمل الأعداء على ترسيخها هي حالة المهاترات الكلامية وتبادل الاتهامات ومحاولة التسقيط والتشويه والإلغاء والإقصاء التي ستتبعها الفئات المتنافسة بشتى الوسائل المتاحة من أجل إرضاء أنانياتهم وتحقيق مصالحهم الشخصية أو الفئوية، مما سيمزق الأمة بشكل أوسع وها نحن ننبه إلى

هذا الخطر من وقت مبكر لأخذ الحيطة والحذر.

إن التنوع في التفكير والوصول إلى نتائج مختلفة استناداً إلى مقدمات متباينة حالة طبيعية ودليل على الإبداع، ولكيلا يجوز لها ان تتجاوز حدودها الايجابية لتؤدي إلى التقاطع والتناحر.

إننا نشهد اليوم تمزقاً على صعيد الوطن فبعض الأكراد ينادون بالانفصال في الشمال وآخرون يطالبون بانفصال الجنوب وأسيى معنى الفدرالية.

ونشهد تمزقاً على صعيد الدين فهؤلاء المتحجرون الجهلة الحاقدون يقتلون ويدمرون ويفجرون بلا رادع من دين أو أخلاق أو إنسانية وبوسائل وحشية، وحوادث اللطيفية والمحمودية والسيارات المفخخة والاغتيالات بعض الشواهد على ذلك، يريدون أن يجروا البلاد والعباد إلى حرب طائفية تهلك الحرث والنسل، وينفذوا خطط أعداء الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ولولا حكمة المرجعية الشريفة وحلمها وبصيرتها وورعها ووعي الأمة وطاعتها لقيادتها الدينية لما بقي المجتمع على حاله اليوم.

ونشهد تمزقاً داخل المذهب الواحد بسبب اختلاف التوجهات الفكرية والفناعات المتعددة وهكذا تستمر الانشقاقات بشكل لا يسرّ الصديق ويدمي قلب كل غيور.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٠٣﴾

ومع هذا الوضع الخطير كيف ستبنى الأمة وتزدهر البلاد وكيف سنحقق السلام والسعادة لأبناء الشعب لذا يجب أن يثوب الجميع إلى رشدهم وينظروا بعين الناقد البصير ويعودوا إلى سنة رسول الله (ﷺ) حيث كان أول عمل هو تأليف قلوب أتباعه وتوحيد شملهم وبناء مجتمع متماسك محذراً إياهم من مغبة التفرق والتشتت التي يكون أول نتائجها ذهاب القوة والدولة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(١).

ولمراسيم العيد وسننه ومستحباته الدور الكبير في سيادة روح المحبة والتصافي بين أفراد الأمة.

الثاني: التذكير وإلفات النظر إلى القيادة الحقيقية للأمة التي أمر الله تبارك وتعالى باتباعها «وَجَعَلَ طَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمَلَّةِ»^(١)، فالإمامة والقيادة الشرعية للأئمة المعصومين (عليهم السلام) وامتدادهم من الفقهاء العدول الجامعين للشرائط هو الحصن الذي يحمي الأمة من التفكك، وما تشتت الأمة وما تمزقت إلا حينما أعرضت عن قيادتها الحقيقية.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(١) من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (ﷺ).

﴿١٠٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وهذا المعنى يؤكد العيد ويرسخه في قلوب المؤمنين من خلال الحث الأكيد على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وفهم معاني ثورته المباركة، ومن خلال دعاء النذبة الذي ورد استحباب قراءته في الأعياد وهو دعاء جليل يذكر الناس بالركب الكريم من أنبياء الله ورسله والأئمة المعصومين والأولياء الصالحين الذين بلغوا رسالات ربهم وأدوا ما عليهم وقدموا التضحيات الجسيمة التي يشير إليها الدعاء.

ثم يركز في خطابه على الإمام المهدي (عليه السلام) باعتباره الإمام الفعلي والقائم بأعباء الرسالة الإلهية الشريفة والمدخر لإقامة الحق والعدل وإزالة الأمت والعوج، وليذكرنا أن العيد الحقيقي هو يوم إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض على يد الأمناء من عباده.

هذا هو يوم العيد في شرفه، وهذا هو يوم العيد في معطياته وهذا هو دور يوم العيد في حياة المسلمين.

ويبقى (كل يوم لم تعص الله فيه فهو عيد) هو شعار المؤمنين وخلاصة نظرهم إلى معنى العيد.

جعلنا الله وإياكم من أهل طاعته ورزقنا وإياكم مرافقة أوليائه في بحبوحة جناته إنه ولي النعم.

الصدق في الدعوة إلى الوحدة والمؤاخاة^(١)

الحمد لله كما يستحقه وكما هو أهله وصلى الله على سيد خلقه وحببيه محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين.

أبارك لكم انعقاد هذا الشمل الميمون الذي اكتسب هيئته وجلاله وأهميته من زمان انعقاده المرتبط بصاحب الذكرى الرسول الأكرم محمد (ﷺ)، ومن مكان انعقاده وهي ارض الجمهورية الإسلامية المباركة في إيران، ومن الحاضرين الذين يمثلون قادة الأمة وأهل الحل والعقد فيها، ومن الظروف التي تعيشها الأمة بكل تحدياتها ومخاطرها ومشاكلها وتعقيداتها ومن الهدف الذي يتمحور حوله المؤتمر وهو تحقيق الوحدة بين طوائف المسلمين ومذاهبهم.

أيها الأحبة:

لقد حثنا الله تبارك وتعالى على التآسي برسول الله (ﷺ) فقال
عَظُمْتَ أَلَاؤُهُ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

(١) نص الكلمة التي وجهها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) إلى مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي عقد في طهران برعاية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية للفترة ١٥-١٧ ربيع الأول ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٤/٢٦، وقد قرأ سماحة الشيخ التسخيري رئيس المؤتمر ورئيس المجمع مقاطع منها في الجلسة الأخيرة.

﴿١٠٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ وهذا التأسّي لا يقتصر على حياته الشخصية الشريفة وإن كان في ذلك غنى وكفاية، وإنما تدعو الآية الشريفة إلى الاستفادة من طريقة معالجته لقضايا الأمة وحلّ مشاكلها ووضع الخطط الكفيلة لإصلاحها وقيادتها نحو سعادة الدارين وكمالها المنشود وتنظيم علاقة أمته ودولته داخل كيانها ومع الأمم والدول الأخرى، وحينئذ سنجد في حياته الشريفة كل ما نحتاج.

أليس هو صنو القرآن بل هو القرآن الناطق؟! فكلُّ ما وصف القرآن نفسه من خصائص شريفة فهي لرسول الله (ﷺ) ومنها قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ومنها قوله تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فسيرته (ﷺ) في أقواله وأفعاله سفر خالد فيه تبيان لكل شيء ولكن حقائقه الواقعية كحقائق القرآن الكريم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهرت قلوبهم من الرين وصفت أنفسهم من التعلق إلا بالله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وبمقدار طهارة قلب الإنسان وصفاء نفسه يستحق من الفيوضات الإلهية ونور المعرفة بالله تبارك وتعالى ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿١٠٧﴾

ومما نستفيده من حياته (ﷺ) كقائد حكيم وباني حضارة خالدة ومؤسس أمة ومنقذها من الضلال والضياع والتشتت والجاهلية، انه (ﷺ) أول ما فعل قبل أن يؤسس دولته المباركة حينما وطأت قدماه مدينته المنورة، إنه آخى بين المهاجرين والأنصار ودعا كل واحد من الأنصار إلى أن يؤاخي واحداً من المهاجرين ويقاسمه كل شيء حتى أن أحدهم إذا كانت له زوجتان وليس للمهاجر زوجة طلق إحداهما وزوجها الآخر، وعلى هذا الأساس الرصين انطلق ليفتح العالم كله ولو لم يكن وراءه مجتمع موحد لانشغل بمشاكله الداخلية وما يستتبعها من تداعيات التناحر والتقاطع والتباعد وعجز عن تنفيذ مشروعه الرسالي العظيم.

من هنا كانت المساعي المباركة لتوحيد الأمة وتآخيتها ركناً أساسياً في إعادة هبة الأمة الإسلامية وقوتها وممارستها لدورها الحضاري الرائد.

ومؤتمركم الميمون هذا خطوة على هذا الطريق اللاحب الطويل، ولكنه رغم معاناته لذيذ يفيض على القلب بالسعادة وعلى الروح بالسمو.

والذي أريد أن أثيره في هذا اللقاء المبارك هو تقييم نتائج هذه المؤتمرات التي تواصلت عقوداً من الزمان وهل إنها حققت نتائجها

﴿١٠٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

المنشودة؟ يؤسفني أن أقول لا على الأقل من الزاوية التي انظر إليها وأعيش همومها وقضاياها.

وحيثُذ يتحتم علينا كنخبة واعية هادفة ان نتعامل مع الأمور بجدية، ولا مكان للهو والعبث وإزجاء الوقت في فراغ، أن نقيم هذا المشروع الإصلاحى العظيم واعني به تحقيق وحدة الأمة ومؤاخاة أبنائها، وأن نحدد أسباب التلكؤ والتعثر ومعوقات العمل، فنحن لا نريد أن نخدع أنفسنا وننظر إلى الأمور بعين واحدة وهي عين الرضا عن النفس فإنها من المهلكات ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأعيذ نفسي وأخواني أن نكون من أهل هذه الآية وأخوانها المباركات.

فقد كنا من المبادرين لإعلان الأيام المتخللة بين الثانى عشر والسابع عشر من ربيع الأول المتشرفة بذكرى ولادة الرسول الأكرم (ﷺ) أسبوعا للمؤاخاة تأسيًا بسيرته الشريفة (ﷺ)، ولكنكم تسمعون وتشاهدون الجرائم الفظيعة التي ترتكب في حق أتباع أهل البيت (عليه السلام) في الحلة والموصل وبغداد واللطفية والمدائن والحصوة واليوسفية وحديثة، وانتهكت حرمت أهل البيت (عليه السلام) في النجف وكربلاء والكاظمية وراح ضحيتها الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ وشباب لا ذنب لهم إلا أنهم التزموا بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٠٩﴾

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ.

وهؤلاء المجرمون لا يمثلون أنفسهم، وإنما وراءهم أمة من الناس تؤويهم وتقدم لهم الدعم والخدمات وتخفيهم عند الاضطرار وتحفظ برهائهم ومخطوفهم، وتقدم لهم المعلومات الاستخباراتية الدقيقة عن ضحاياهم، كما أن وراءهم من يبرر أفعالهم من علماء السوء ويعطيهم المشروعية وبارك لهم سفك الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام، ويجعلها من أقرب الطاعات لله تبارك وتعالى وأقصر الطرق إلى الجنة؟

فهي إذن منظومة كاملة تعبئ للجريمة وتدفع إليها وتحتضنها وتدعمها وتشترك فيها وتتقاسم غنائمها من السحت الذي يغلي في بطون آكلية ناراً وسيصلون سعيراً، ولو لم يكونوا شركاء في الجريمة فلماذا لم تحصل مثل هذه الشبكات المنظمة للفساد في الأرض في المدن الملتزمة بتعاليم أهل البيت (عليه السلام) وتتبع مرجعيتها الرشيدة؟

هذا كله ما يجري في المناطق التي يكثر فيها المنتسبون إلى أهل السنة والجماعة وهم براء منهم إلا أنهم يخافون سطوتهم، ويتبجحون بهذه الأفعال ويفخرون بها ويسمونهم (مثلث الموت) هل سألوا أنفسهم لمن هذا الموت؟ إن من يقتل من المحتلين لا تعدو نسبته واحد بالمئة فالموت إذن للأبرياء والإخوان في الدين والوطن الذين لهم رب واحد

﴿١١٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ودين واحد وكتاب واحد ونبي واحد وقبله واحدة ويتربص بهم عدو واحد لا يفرق بين سني وشيعي ولم يستهدف السني لسنيته ولا الشيعي لشيعيته وإنما استهدفهما معاً لإسلامهما !

هل من المصادفة أن يتعرض الشهيد السيد محمد باقر الحكيم في النجف الأشرف والشهيد الشيخ أحمد ياسين في فلسطين المحتلة لحادثي اغتيال في أسبوع واحد^(١) فاستشهد الأول ونجا الثاني ثم استشهد في محاولة أخرى؟ وهل من المصادفة أن تنتهك المقدسات في القدس الشريف والنجف وكربلاء المقدستين في آن واحد؟ إلا يكفي هذا رادعاً لإخواننا لكي يكفوا عن الغدر والطعن من الخلف ولا يكونوا إلماً لأعدائهم على إخوانهم.

إن كلمات الاستنكار الخجولة التي تصدر لذر الرماد في العيون لم تعد تنطلي على أحد ولا قيمة لها ما دام تسميم الأجواء مستمراً والتعبئة والتثقيف نحو الجريمة يوظف كل وسيلة إعلامية من الفضائيات إلى الإذاعات والصحف والمجلات ومنابر الجمعة والجماعة غير الجلسات الخاصة وما دام التضليل ودفع الهمج الرعاع والمتحجرين والقساة

(١) استهدفت سيارة مفخخة موكب السيد الحكيم يوم الجمعة ١ رجب ١٤٢٤ المصادف ٢٠٠٣/٨/٢٩ واستهدفت غارة إسرائيلية منزل الشيخ أحمد ياسين والقيادي في حركة حماس إسماعيل هنية يوم ٩ رجب فجرح الأول ونجا الثاني.

الذين قست قلوبهم ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

لقد حذر الله تبارك وتعالى من المكر السيئ فقال عز من قائل ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾؛ ولذا حذرت في عدة بيانات الإخوة الذين يغذون الفساد في الأرض من داخل العراق وخارجه، أن عاقبة البغي وخيمة و(من سل سيف البغي قتل به) وانه (لو بغى جبل على جبل لتدكدك)، فهذا الفساد في الأرض الذي يفتون به ويدعمونه لإهلاك الحرث والنسل في هذا البلد الكريم سيعود عليهم قريباً جرياً مع سنة الله تبارك وتعالى التي لا تقبل التحويل والتبديل وسينوءون بثقله وسيكتون بنار الفساد، أو ما يسمونه بالإرهاب الذي صنعوه بأيديهم بغياً على شعب العراق المسلم الأبي.

لماذا يكون الفعل الواحد جريمة تندى لها الإنسانية إذا وقع في بلادهم ضد العدو الذي يتحكم في سياستهم واقتصادهم وثقافتهم ويكون (مقاومة) و(جهاداً) إذا وقع ضد المدنيين الأبرياء في أرض العراق؟ إن أهداف هؤلاء المستندة إلى عصبية جاهلية ومصالح أنانية ونظرة ضيقة لم تعد خافية على احد.

إن رفض الاحتلال وكل أشكال التبعية والتحرر منه والعبودية الخالصة لله تبارك وتعالى واجب إنساني لا يناقش فيه أحد، وهو حق

﴿١١٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

للعراقيين قبل غيرهم وهم من أوائل الشعوب التي سعت إلى الحرية وضحت من أجل نيلها.

وهذا الرفض له آلياته وأشكاله وظروفه وللمقاومة ثقافة ولها أخلاق فنقرأ في سيرة رسول الله (ﷺ) أنه كان كلما بعث سرية أو جيشاً حملهم مع السلاح توجيهات ونصائح وأخلاق بأن لا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا يقطعوا شجرة وأن يقبلوا إسلام من أعلن الشهادتين وأن لا يجهزوا على جريح ونحوها مما حوته جوامع الحديث، ولما ارتكب أحد أمراء جيشه خطأ تبرأ رسول الله (ﷺ) من فعله وأرسل علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى المتضررين فوداهم حتى ميلغة الكلب ثم فرق فيهم مالا إضافياً احتياطاً لرسول الله (ﷺ) الذي سرّ بما قام به علي (عليه السلام) فأين أدعياء المقاومة من هذه الأخلاق النبوية الشريفة؟!

أيها السادة المحترمون:

علينا أن نكون صادقين مع الله تبارك وتعالى ومع أنفسنا فإننا حينما تحمّلنا العلم ووضعنا أنفسنا في هذا الموقع المقدس، رضينا بأن نحمل الأمانة التي عرضها الله تبارك وتعالى ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ إذا لم يؤدّها ولم يكن أمانة عليها والعلماء أمناء الرسل وورثتهم ليس

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١١٣﴾

فقط في الامتيازات والجاه والتقديس والحقوق وإنما ورثتهم في تحمل مسؤولية الرسالة من جميع جوانبها وقد قال تبارك وتعالى عن أنبيائه الكرام ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴿ ثم أمر عباده باتباع الرسل والكون معهم على خطهم ونهجهم فقال عظمت آلاؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

فإن كنا حقاً علماء وقادة للأمة فلنكن صادقين في الدعوة إلى الوحدة والتآخي بخلق ثقافة المحبة والأخوة واحترام الرأي الآخر والشراكة معه، ولا تتحقق هذه الثقافة إلا بقيام صناع الرأي في الأمة من علماء ومفكرين وكتاب وخطباء وأدباء وصحفيين وإعلاميين في إشاعة هذه الأجواء الايجابية وحينئذ ستتوجه الأمة كلها بهذا الاتجاه، أما أن تكون اللغة السائدة هي التكفير والإلغاء والاتهام والحقد فلا معنى للحديث عن الوحدة والمواخاة، ويكون مثل هذا الحديث لغواً بل نفاقاً وقد حذركم الله نفسه والله بصير بالعباد ويقول لكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴿.

أيها الأحبة:

أرجو أن تقبلوا هذه الشقشقة التي هي نصيحة وتذكار وتحذير من اللعب بالنار التي لا تبقي ولا تذر ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وإنما شكوت إليكم بشي وحزني فلأنكم إخواني في الله ومن شكا إلى أخيه المؤمن فقد شكى إلى الله عز وجل.

أسأل الله أن يمدكم بنصره ويأخذ بأيديكم لما فيه صلاح الأمة ورضا الله تبارك وتعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ويغفر الله لي ولكم وهو أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

النجف الأشرف - محمد اليعقوبي

١٣ ربيع الأول ١٤٢٦ الموافق ٢٠٠٥/٤/٢٢

الباب الثالث

الوحدة في منهج أهل البيت (عليهم السلام)

الباب الثالث

الوحدة في منهج أهل البيت (عليه السلام)

امتد منهج حفظ الأمة بعد رسول الله (ﷺ) في سيرة أهل البيت (عليه السلام)، الذين جمعوا بين وضوح الحق الذي يحملونه والحرص على عدم تمزيق الجماعة الإسلامية. ومن هنا أفرد المرجع العقبوي في دراسته لأدوار الأئمة عنواناً صريحاً هو «المحافظة على وحدة المسلمين»، وعده من أدوارهم المشتركة والأساسية في حياة الأمة. وتكشف نصوص هذا الباب أن الوحدة في مدرسة أهل البيت لا تعني التنازل عن المعتقد أو تعطيل الحجة والبرهان، وإنما تعني صيانة المجتمع من النعرات التي تحول الخلاف إلى اقتتال، والالتفات إلى المشتركات الجامعة، واحترام ما يعتقده الآخر حين يستند إلى حجة، وجعل الحوار العلمي سبيلاً للوصول إلى الحقيقة. وبذلك تصبح الإمامة - في هذا السياق - عنصر هداية ونظام وحفظ من الفرق، لا عنواناً يستعمل لإنتاج الخصومة بين المسلمين.

ومن هذه الزاوية تقرأ النصوص الآتية بوصفها بياناً لدور أهل البيت (عليه السلام) في حفظ كيان الأمة، وصيانة وحدتها، وإدارة الاختلاف من داخل الحق والأخوة معاً :

- «المحافظة على وحدة المسلمين»
- «سبيل توحيد المسلمين».
- «يوم الغدير أساس وحدة المسلمين».

المحافظة على وحدة المسلمين

يرى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) أنَّ المحافظة على وحدة المسلمين تمثّل واحداً من الأدوار المشتركة والأساسية التي اضطلع بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حياة الأمة؛ إذ حرصوا على صيانة كيانها، وتأليف القلوب، ومنع أسباب الفرقة والافتتال، مقدّمين مصلحة الإسلام ووحدة المسلمين على ما سواها.

وقد تحدّث سماحته (دام ظلّه) في كتابه «دور الأئمة في الحياة الإسلامية»، ضمن المحاور الأول المتعلّق بالأدوار العامة والمشاركة للأئمة (عليهم السلام) في حياة الأمة، وأفرد النقطة الخامسة لبيان دورهم (عليهم السلام) في المحافظة على وحدة المسلمين وصيانة كيان الأمة من أسباب الفرقة والانقسام فقال دام ظله :

(الخامسة): المحافظة على وحدة المسلمين.

وهي من اسس وركائز المجتمع المسلم فلا غرو أن يحافظ عليها الائمة (عليهم السلام) أيما محافظة ويضحون من اجلها بالغالي والنفيس تمسكاً بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقد فسر النبي (صلى الله عليه وآله) لهذا الامة الحبل الذي إن تمسكوا به حفظوا وحدتهم من

﴿١٢٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

التفرق وهما كتاب الله وعتره رسول الله (ﷺ) ^(١) فالامام علي (عليه السلام) تنازل عن حقه في سياسة امور العباد من أجل حفظ هذه الوحدة وهو القائل لما عزموا على بيعه عثمان: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأَسْلَمَنَّ مَا سَلَمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التَّمَاساً» ^(٢) لَأَجْرَ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزَهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زَخْرَفِهِ وَزَبْرَجِهِ» ^(٣).

(١) راجع: كتاب (شكوى القرآن).

(٢) هنا علق سيدنا الأستاذ (قدس سره) قائلاً: (ينبغي ان نلتفت الى هذه العبارة ملياً فقد قلت للسيد (قدس سره) - أي الشهيد الصدر الاول في يوم ما :- إن الكتاب (يعني الكتاب الديني) عليه ثواب، على تأليفه وعلى طبعه وعلى نشره وعلى منعه وعلى محاربته كلها ثواب. فكذلك الخلافة أو أي مقصود أو هدف إن حصل كان لطفاً وإن لم يحصل كان لطفاً من الله سبحانه وإنما الاعمال بالنيات وعلى ما في القلوب المعوّل.

وينبغي أن نلتفت الى أن امير المؤمنين (عليه السلام) يعتبر الخلافة الظاهرية من شؤون الدنيا - مهما كانت اهميتها عظيمة - ولذا نراه يرجح الزهد فيها عن التورط في تفاصيلها. وقد قال في خطبته الشقشقية: ولرايتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفة عنز. وهذا أيضاً يفسر ما ورد من أن الامام المهدي (عليه السلام) اذا ظهر فانه يبايع مستكرها لأن إقدامه على فتح العالم اقداماً على الدنيا. وكذلك يفسر ما ورد من ان سليمان الحكيم (عليه السلام) آخر الانبياء دخولا الى الجنة لأن ملكه - مهما كان عادلا وعظيماً - فهو من الدنيا التي لا بد من إيصال حسابها قبل الحصول على ثوابها الخ فكيف بنا نحن الضعفاء المساكين).

(٣) نهج البلاغة، ج / ١، ص / ١٢٣، الخطبة / ٧٣.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿١٢١﴾

ومما كتب الامام الحسين (عليه السلام) الى رؤساء الاخماس بالبصرة: «....
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ خَلْقِهِ، وَأَكْرَمَهُ
بِنَبُوَّتِهِ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ، وَبَلَغَ مَا أُرْسِلَ
بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكُنَّا أَهْلَهُ، وَأَوْلِيَاءَهُ، وَأَوْصِيَاءَهُ، وَوَرَثَتَهُ، وَأَحَقُّ
النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمَنَا، فَرَضِينَا، وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ،
وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِنْ
تَوَلَّاهُ...» (١).

وكانوا (عليهم السلام) يتوسلون بمختلف الطرق للتقريب بين وجهات النظر
وإقناع المنحرفين عن محبتهم والاتصال بمبغضهم إما جهلاً أو لحقد
موروث لا مبرر له أو للتضليل الاعلامي الذي اتبعته السلطات المتعاقبة
ضدهم فمن ذلك ما روي ان الامام الحسين (عليه السلام) واثناء مسيره الى
كربلاء نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي وكان غير مشايح له
ويكره النزول معه لكن الماء جمعهم فارسل الامام (عليه السلام) عليه يطلب
مقابلته فرفض وبعد اصرار زوجته قابل الامام الحسين (عليه السلام) فحادثه
الامام الى ان ذكره بموقف له في فتوح آذربيجان وكان معهم سلمان

الفارسي فأخبرهم بما سيحدث لآل محمد (عليه السلام) وسعادة من سيقتل معهم فاستجاب زهير والتحق بركب الامام (عليه السلام) حتى استشهد معه^(١).
«وقيل: إِنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يُؤْذِيهِ وَيَشْتُمُ عَلِيًّا (عليه السلام)، وَكَانَ قَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ حَاشِيَتِهِ: دَعْنَا نَقْتُلَهُ. فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَزَجَرَهُمْ أَشَدَّ الزَّجْرِ، وَسَأَلَ عَنِ الْعُمَرِيِّ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَزْرَعُ بِنَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ فِي مَزْرَعَتِهِ فَوَجَدَهُ فِيهَا، فَدَخَلَ الْمَزْرَعَةَ بِحِمَارِهِ، فَصَاحَ بِهِ الْعُمَرِيُّ: لَا تَطَأْ زَرْعَنَا. فَتَوَطَّاهُ بِالْحِمَارِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَ وَجَلَسَ عِنْدَهُ، وَصَاحَكَهُ، وَقَالَ لَهُ: كَمْ غَرَمْتَ فِي زَرْعِكَ هَذَا؟ قَالَ لَهُ: مِائَةٌ دِينَارٍ. قَالَ: فَكَمْ تَرْجُو أَنْ تُصِيبَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ. قَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ لَكَ: كَمْ تَرْجُو فِيهِ؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ يَجِئَنِي مِائَتَا دِينَارٍ. قَالَ: فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ، وَقَالَ: هَذَا زَرْعُكَ عَلَى حَالِهِ. قَالَ: فَقَامَ الْعُمَرِيُّ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَأَنْصَرَفَ. قَالَ: فَرَأَحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَ الْعُمَرِيَّ جَالِسًا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. قَالَ: فَوَثَبَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ: مَا قَصَّتْكَ؟! قَدْ كُنْتَ تَقُولُ خِلَافَ هَذَا! فَخَاصَمَهُمْ وَسَابَّهُمْ، وَجَعَلَ يَدْعُو لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى (عليه السلام) كُلَّمَا دَخَلَ وَخَرَجَ»^(٢).

(١) مقتل الحسين للمقرم / ٢٠٧.

(٢) دلائل الإمامة (ط - الحديثة) / ٣١١.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٢٣﴾

وبغض النظر عن تفاصيل الرواية فانها في الجملة شاهد على اهتمامهم بحفظ روح الالفه والموده مع جميع المسلمين وكانوا (عليه السلام) ينهون عن سب الشيخين لأن آثاره هذه المشكله من دسائس القوى المعاديه للاسلام لتفريق المسلمين ولا تترتب عليها أية فائده دينيه بل العكس فانها تجر على الامه الويلات، والتاريخ يحكي - بكل أسف وحزن - الفتن الداميه التي كانت تحدث بسبب هذه الامور ولا بد أن الذين يشعلون فتيلها من غير المسلمين او من جهلتهم وعوامهم الذين لا يمكن بأي حال من الاحوال السماح لهم بالتأثير في توجهات الامه واهتماماتها بعيداً عن مسؤوليتها ودورها فضلاً عن قيادتها وكان للسلطات دور بارز في إذكائها لعدة مصالح شيطانيه:

١- اللقاء الفتنه بين المسلمين حتى تصل الى القتال فيضعفوا وتسهل السيطرة عليهم.

٢- إشغالهم بهذه النزاعات عن النظر في ظلم اولئك الطواغيت الذين لا يحبون كل مسلم واعٍ سنياً كان أو شيعياً.

٣- إقناع معارضيههم وهم من الشيعة غالباً بأن هؤلاء الحكام لا ذنب لهم فيما يحصل من مظالم وإنما السبب الوحيد هو اولئك الاوائل الذين غصبوا حق علي (عليه السلام).

وانطلقت هذه المؤمرات على الجهالة والمتعصبين من الطائفتين رغم ان القرآن صريح في المنع من سبّ الذين كفروا فضلاً عن غيرهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١)، ولو التزم كل بتعاليم الاسلام وقادته لما حدث ما حدث، فيروى أن جماعة من أهل العراق دخلوا على الامام علي بن^(٢) الحسين بن علي وذكروا أبا بكر وعمر وعثمان بسوء ونالوا منهم، فقال لهم: «أَلَا تَخْبِرُونِي أَنْتُمْ، الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَانْتُمْ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، قَالُوا: لَا، قَالَ: أَمَّا أَنْتُمْ قَدْ تَبَرَّأْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَحَدٍ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

(١) الأنعام: من الآية ١٠٨ .

(٢) علق سيدنا الأستاذ (رحمته الله) قائلا: في بالي أن الرواية مروية عن الامام الرضا (عليه السلام) مع شيء من التفصيل اكثر من هذا. ولعلها صادرة من كلا الامامين (عليهما السلام) فالأفضل المراجعة. أقول: راجعت أكثر من مصدر فرأيتها مروية عن الامام السجاد (عليه السلام)، ومنها بحث (التقية اصولها وتطورها) للدكتور كامل مصطفى الشبيبي وهو نقلها عن كتاب (مع الشيعة الامامية) للشيخ محمد جواد مغنية، ص / ٤٢-٤٣.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٢٥﴾

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿١﴾
اُخْرَجُوا عَنِّي فَعَلَ اللَّهُ بِكُمْ^(١) وَكَأَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَهَمَّ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ أَوْ
مُتَمَلِّقُونَ فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ قَالَ: «خَرَجَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَمْرُو بْنُ الْحَقِّقِ
يُظْهِرَانِ الْبَرَاءَةَ وَاللَّعْنَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْ كَفَّا
عَمَّا يَبْلَغُنِي عَنْكُمَا، فَأَتِيَاهُ فَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَسْنَا مُحَقِّقِينَ؟ قَالَ:
بَلَى، قَالَا: أَوْلَيْسُوا مُبْطِلِينَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَا: فَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ؟ قَالَ:
كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ تَشْتُمُونَ وَتَتَبَرَّءُونَ وَلَكِنْ لَوْ
وَصَفْتُمْ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ عَمَلِهِمْ كَذَا
وَكَذَا كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَلَوْ قُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ
إِيَّاهُمْ وَبَرَاءَتَكُمْ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا
وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مِنْ جَهْلِهِ وَيَرْعَوْى
عَنِ الْغِيِّ وَالْعُدْوَانِ مِنْ لَهَجٍ بِهِ كَانَ هَذَا أَحَبَّ إِلَيَّ وَخَيْرًا لَكُمْ فَقَالَا: يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَقَبَلْ عِظَتَكَ وَنَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ...»^(٢).

وهكذا كان المتأدبون بأدب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والائمة من ولده
رغم ما تعرضوا له من مظالم كأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعبد

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة): ٧٨/٢.

(٢) وقعة صفين: ١٠٣.

﴿١٢٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الله بن مسعود ونظرائهم والاجيال التي تلتهم ولسان حالهم: لنسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علينا خاصة طلبا لمرضاة الله تعالى والتماسا لمثوبته، وزهداً في غيرهما.

ومن هؤلاء المتأدبين بأدب اهل البيت (عليه السلام) الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للامام المهدي (عليه السلام) فانه رغم عظمته في التشيع الا أن أحدا من العامة لم يصدق انه من غيرهم لحسن تصرفاته وحكمته وحدث ان تنازع اثنان فقال أحدهما أن ابا بكر أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ويأتي علي بن ابي طالب من بعده، وقال الثاني: إن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشتد النزاع بينهما في مجلسه وفيه حشود من السنة والشيعة - وكانت الفتن الطائفية في أوجها آنذاك - فحسم النزاع بالاسلوب الحكيم الذي اعتاد عليه الذي يظهر منه شيء لأول وهله لكن التأمل الدقيق يظهر انه موافق لمذهبه وقال: الذي اجمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق وبعده الفاروق وبعده عثمان ثم علي الوصي واصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا، فتعجب الحاضرون من قوله ورفعوا العامة على رؤوسهم وطعنوا على من يرميه بالرفض (أي سب الشيخين).

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٢٧﴾

وبلغه أن بواباً على بابه قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه من خدمته ولم يقبل شفاعته احد فيه^(١).

والذي يراجع كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن الأثير يعتصر قلبه الالم لما حلَّ بالامة من التدمير بسبب الفتن الطائفية، ليس بين السنة والشيعة فقط بل بين طوائف السنة انفسهم كالفتنة بين الاشاعرة والحنابلة سنة ٤٤٧ هـ وعلى العكس من ذلك فإن الأمة مرّت بحالات صحوه ووعي فحصل الصلح والوئام كما في سنة ٤٤٢ هـ وسنة ٤٨٦ هـ (راجع البداية والنهاية).

يقول: الدكتور الشيبني في المصدر السابق وهي من الالتفاتات الرائعة: (كلما أمعنا في تقصي الاسباب والنفوذ الى الدوافع الحقيقية المختفية وراء هذه الفتن وجدنا أمامنا عبارة المجاعة أو النهب أو هجوم جيش على بلد وعلى العكس من ذلك نجد رخص الاسعار وكثرة المحصول والرخاء مقترناً بسني الصلح والوحدة^(٢)).

وهذه نتيجة طبيعية فإن الوحدة والوئام تؤدي الى الانتعاش الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية الطيبة وارتفاع الهمة والحماس

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٥٦٩.

(٢) الجزء الثاني من سلسلة مقالات (التقية: اصولها وتطورها) المنشور في مجلة الايمان

النجفية، السنة الثانية، العدد / ٥ - ٦، ص / ٤٦ - ٤٧.

للعمل والبناء عكس أيام الفتن والحروب ومن هنا نفهم إحدى المصالح التي ارادها الائمة (عليه السلام) للامة من هذه التوجيهات.

والوحدة مع الاتجاهات الاخرى من المسلمين لا يعني تخلي الشخص عن قناعاته ومعتقداته التي ثبتت عنده بدليل قطعي معتبر، وانما تبتني على أسس ثلاثة:

الاول: تناسي الخلافات وعدم إثارة النعرات الطائفية وتعنيف من يقوم بذلك.

الثاني: الالتفات الى القواسم المشتركة التي تجمع المسلمين كلهم فربهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة.

الثالث: احترام كل طرف قناعة الطرف الآخر ما دام قد استند فيها الى حجة ودليل معتبر شرعاً، والحوار بالتي هي أحسن للوصول الى الحقيقة التي هي مطلب كل عاقل.

وعلى هذا لم يسمحوا بأن يكفر بعض المسلمين بعضاً لمجرد اختلافهم في بعض التفاصيل بعد اتفاقهم في أصول الاسلام وهنا أودّ الفات النظر الى فرق بين نمط مناظرات الائمة (عليه السلام) مع اخوانهم المسلمين ومناظراتهم (عليه السلام) مع غير المسلمين فإن مناظراتهم (عليه السلام) مع المسلمين من غير الإمامية تتركز على إثبات سلامة طريق التشيع واطمئنانهم الى ادلته دون التعرض لبطلان الاراء الاخرى فليس هذا

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٢٩﴾

موضع الحاجة؛ إذ إنَّ مثل هذا الشيء نحتاجه مع النظريات والافكار غير الاسلامية من الزنادقة والملحدين والمجوس واليهود والنصارى والذي يراجع كتاب الاحتجاج يجد هذا الفرق واضحاً وكانوا (عليه السلام) يصرحون بندائهم ان الجنة ليست حكراً على الشيعة بل هي تستقبل كل مسلم مخلص شيعياً كان أم غيره، فعن زرارة قال: «سئل أبو عبد الله (عليه السلام) وأنا جالس عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر (يعني ولاية أهل البيت عليه السلام)؟ فقال: إنما هذه للمؤمنين خاصة قلت له: أصلحك الله، أرايت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب (العداوة لأهل البيت عليه السلام)؟ فقال: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته»^(١).

وكان بعض أصحاب الائمة (عليه السلام) ربما لم يستوعبوا مثل ذلك باعتبار أن أولئك لا يعرفون ما نعرف فيجيب الامام (عليه السلام) وها نحن نعرف ما لا تعرفون.

(١) المحاسن: ١٥٨/١ ، وأضاف (دام ظله) الرواية تدل على أن الأجر بقدر المعرفة وفي هذا المعنى روايات واردة من طرق الفريقين.

﴿١٣٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وفي رواية اخرى سئل الامام (عليه السلام) نفس السؤال فأجاب: نعم
وأضاف: إن أم^(١) سلمة (أم المؤمنين) لا تعرف ما تعرفون وأشهد أنها
على خير.

(١) علّق سيدنا الأستاذ (قدس سرّه) قائلاً: يبدو أن أم سلمة لم تكن تدرك مفهوم الامامة وعدد
الائمة (عليهم السلام) بالمعنى الذي ندركه ولكنها على أي حال تؤمن بالحق على إجماله وتحبّ
رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) وهذا يكفي لنجاتها وأنها على
خير كما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإن لم تكن تعرف تفاصيل التشيع ولعل الاقدم منها وهم
والدا النبي (صلى الله عليه وآله) والدا أمير المؤمنين (عليه السلام) وحمزة وغيرهم ناجون بكل تأكيد لكن من
دون معرفة تفصيلية.

سبيل توحيد المسلمين^(١)

إن دعوات -لا أتهم إخلاصها وصدق نواياها- انطلقت في العالم الإسلامي منذ ثلاثينيات القرن الماضي تدعوا إلى توحيد المسلمين ونبذ الخلاف وأسسوا في الأربعينات داراً للتقريب بين المذاهب الإسلامية سعت بمقدار ما تيسر له لتحقيق هذا الهدف السامي ولا زالت المساعي مستمرة، ولكن يؤسفني أن أقول أنها لم تحقق الثمرة المنشودة وأحياناً يحصل العكس فحينما تثار نقاط الخلاف من أجل تسويتها وردم الهوة بينها يتم التركيز على هذا الخلاف وتفشل الحلول في التقريب بينها حتى صرنا نرجو أحياناً أن لا تنعقد مثل هذه اللقاءات والندوات والمؤتمرات حتى لا نستثير كوامن الاختلاف.

وتعلّمنا الزهراء (عليها السلام) العلاج الصحيح للفرقة بين المسلمين والسبيل إلى لم شملهم وتوحيد كلمتهم كما أراد الله تعالى لهم ذلك، قال تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، فقالت

(١) موسوعة خطاب المرحلة، ج ٥، ص ١٤٣، ط: ٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

﴿١٣٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

(عليه السلام): «فَجَعَلَ اللَّهُ طَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمَلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا لِلْفِرْقَةِ»^(١) فالوحدة والاجتماع يتحقق بالرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) الثابتة عنه غير المكذوبة عليه والمأخوذة عن طريق الثقات من أهل بيته وأصحابه النجباء.

كنت قبل أيام في اتصال هاتفي مطول مع أحد علماء فلسطين^(٢) من المهتمين بالتقريب بين المسلمين وتوحيد كلمتهم حتى يتمكنوا من إعزاز دينهم ودحر الأعداء المتكالبين عليه وناقشنا ما تقدم من عدم تحقق الثمرة من مؤتمرات التقريب وقلت له أن على إخواننا أبناء أهل السنة أن يتخذوا خطوتين على الطريق الصحيح:

الأولى: فتح باب الاجتهاد لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية وهي الكتاب والسنة الشريفة لأنهما المصدران للتشريع أما كلمات الفقهاء فمع إجلالنا إلا أنها تمثل فهمهم وما بلغه نظرهم في الدليل الشرعي وان الأدوات المتوفرة لدى الأجيال اللاحقة أعظم من السابقين تبعاً لتطور العلوم وتعميقها ثم أن الحوادث متجددة ومتنوعة وان كثيراً منها لم يتعرض لها السلف الصالح.

فالانغلاق على مذاهب عمرها أزيد من ألف عام يجمد الفكر ويفتح

(١) الإحتجاج (للطبرسي): ٩٩/١.

(٢) هو الشيخ محمود عبد العزيز جودة المقيم في غزة.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٣٣﴾

الباب واسعاً أمام كل من يشتهي أن يطبق ما يشاء من الفتاوى والنصوص على الحادثة المعينة ليحقق مبتغاه لذا نرى التضارب والتشتت وعدم الانضباط في إصدار الفتاوى التي لا تتورع عن سفك الدم الحرام فلا بد من ضبط الحالة وفق مقاييس علمية دقيقة ومؤهلات وهذا ما يتوفر لدى مراجع شيعة أهل البيت (عليه السلام) حيث لا يحق لأحد إصدار الفتوى إلا بعد بلوغه هذه المرتبة العلمية السامية ونضج علمي وعملي لا يتيسر إلا للأفذاذ.

الثاني: عدم تسييس الدين وامتناع الفقهاء من السير في ركاب السلطة وإضفاء الشرعية على تصرفاتها المبنية على المصالح الدنيوية الضيقة وهي متقاطعة بين متسلط وآخر مما يولد نفوراً من الدين وتعارضاً بين مواقف العلماء وتصل إلى التشاجر والقتال، ولو تسامى الفقهاء عن حب الدنيا وعملوا مخلصين لله تبارك وتعالى وتكون علاقتهم بالحكام من أجل التوجيه والإرشاد والموعظة وتصحيح المسيرة وإصلاح الخط والفساد وتقديم المشورة وهذا الشرط أساسي في مراجع الشيعة وسموه (بالعدالة).

ولتحقيق هاتين الخطوتين يتطلب الأمر إجراء تعديلات في مناهج دراسة العلوم الدينية لتنتج مجتهدين، وأن تؤسس هذه الحواضن للدراسات الدينية بعيداً عن تدخل السلطات الحاكمة كالحوزات

العلمية الشيعية المستقلة عبر أكثر من ألف عام عن تدخل الحكومات، وآمل أن يمن الله تبارك وتعالى على بغداد الحبيبة بالأمن والاستقرار والاستقلال والحرية لتكون هي الحاضنة لهذا الصرح العلمي العظيم كما كانت في عصورها المزدهرة، فقد كانت للشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي كما كانت لأبي حنيفة والشيخاني والغزالي والكيلاني.

وكان طلاب العلم في كل من المدرستين يأخذ علوم المدرسة الأخرى وقد يكون بارعاً فيها فلا يعرف انتمائه لأي منهما وألف الشيخ الطوسي كتاب الخلاف الذي يستعرض فيه آراء علماء المسلمين من جميع المذاهب ويذكر أدلتهم ثم يختار ما هو الصحيح. وحينئذ سيجد الباحث (كما وجدت أنا من خلال البحث الذي القيه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف واخترت له المسائل الخلافية) أن المصدر واحد وإن كثيراً من الأحاديث التي نستند إليها متطابقة بحيث لا تشعر عندئذ بوجود فرق وإنما هو بحث علمي مستند إلى أدلة معتمدة وتستغرب حينئذ من هذا التباعد والاختلاف بين طوائف المسلمين

يوم الغدير أساس وحدة المسلمين^(١)

السلام عليكم أيها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته..

يتحدث المسلمون بجميع طوائفهم عن ضرورة الوحدة ونبذ الخلاف ويعقدون المؤتمرات والندوات والحوارات تحت هذا العنوان وتصرف الأموال الضخمة في هذا السبيل دون أن يتحقق تقدم يذكر وربما ازدادوا بعداً عن بعضهم، فأين الخلل ولماذا هذا العجز عن الوصول إلى الحل؟

يدلّنا القرآن الكريم على ما تتحقق به الوحدة بين المسلمين فان الله تعالى يقول: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

(١) كلمة سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) التي أُلقيت في الحفل الذي أقامته ممثلة المرجعية الرشيدة في العاصمة الألمانية برلين بمناسبة عيد الغدير الأغر لسنة ١٤٢٨ المصادف ٢٩/١٢/٢٠٠٧، وألقاها سماحته مع زيادة عليها في كلمة متلفزة الى قناة النعيم الفضائية و ارسلها عبر البريد الالكتروني الى احتفال يقام بهذه المناسبة عام ١٤٣٣ في مدينة موركتاون التابعة لولاية ويست فرجينيا الامريكية بطلب من المؤمنين القائمين على هذا الاحتفال

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وقد وردت الروايات في تفسير الآية بأن حبل الله هو القرآن الكريم وولاية علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين (عليه السلام) من ذريته، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: «الْقُرْآنُ حَبْلُ اللَّهِ الْأَمِينُ»^(٢) وفي تفسير القمي «الحبل : هو التوحيد والولاية»^(٣) وفي تفسير العياشي عن الباقر (عليه السلام) «آل مُحَمَّدٍ (عليه السلام) هُمْ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أُمِرَ بِالْأَعْتَصَامِ بِهِ»^(٤).

وتشهد نفس الآية على هذا التفسير، لأنها ذكرت أن العرب كانوا أعداء متباغضين فوحدهم الله تبارك وتعالى وجمع كلمتهم بنعمة الإسلام، وقد أشارت آية أخرى إلى أن تمام هذه النعمة ونظام عقدها ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥) وقد روى المفسرون من الطائفتين أنها نزلت بعد تنصيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة وولياً وهادياً للأمة بعده يوم الغدير بعد حجة الوداع.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢٣٣/٦٥.

(٣) تفسير القمي: ١٠٨/١.

(٤) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٨٥/٢٤.

(٥) المائدة: ٣.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٣٧﴾

فنعمة الله التي توّحد المسلمين وتؤلف بين قلوبهم هي الاسلام
وتمامها وكمالها ولاية علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

وإلى هذا أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في خطبتها في
مسجد أبيها قالت (عليها السلام): «وَجَعَلَ طَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمَلَّةِ وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا
لِلْفِرْقَةِ».

وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست قضية عاطفية تجاه شخصيته
العظيمة حتى نكتفي بالمحبة والمودة، ولا هي قضية تاريخية حتى يقال
مالكم تعيدون الماضي وتشيرون الخلافات القديمة، ولا هي عقيدة
نظرية نكتفي بالآيمان بها من دون أثر عملي وإنما هي باب يفتح منه
ألف باب من الاعتقادات والأحكام والآداب تكون برنامجاً كاملاً في
المعتقد والسلوك على صعيد الفرد والأمة.

والأمة لم تقع فيما وقعت فيه من التخبّط والصراع والفتن المضلّة
التي تسببت في إزهاق أرواح الأجيال بعد الأجيال من الأبرياء وخراب
البلاد وانهيار الحضارة وعدم الاهتمام إلى الحق إلا بسبب عدم
تمسكها بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعروته الوثقى التي لا
انفصام لها. وهذا ما دعا عبد الله بن العباس وغيره من الصحابة العارفين
يتأوه إلى نهاية عمره مما حصل في رزية يوم الخميس - بحسب
تسميته - التي سبقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأيام حينما طلب رسول

﴿١٣٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الله (ﷺ) أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده
ابداً، فردوا عليه بالكلمة المعروفة.

ويقول ابن عباس عن مسألة (العول)^(١) أي النقص في فرائض
الميراث التي قال بها من لم يأخذ العلم من نبيه الصافي وفندها أمير
المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده (سلام الله عليهم) وفيها يقول عبد
الله بن العباس بعد أن اثبت بطلان القول بالعول في رواية طويلة: قال
«وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ قَدَّمَ مَنْ قَدَّمَ اللَّهَ وَأَخَّرَ مَنْ أَخَّرَ اللَّهَ مَا عَالَتْ فَرِيضَةٌ»^(٢)
وهو يقصد بحسب الظاهر التقديم والتأخير في استحقاق الميراث، لكنه
كان يريد معنى أعمق من ذلك بأن الأمة لو قدّمت لولاية أمرها من
قدّمه الله تبارك وتعالى واختاره لخلافة رسول الله (ﷺ) لما نقصت
فريضة أو عطّلت سنة.

وهذا المعنى صرح به أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه، قال:

(١) مثالها لو مات شخص وترك ابوين وزوجة وبنتين، فلأبوين السدسان وللزوجة الثمن
وللبنتين الثلثان بحسب الفرض فاصبح المجموع $\frac{16}{24} + \frac{3}{24} + \frac{5}{24} = \frac{24}{24}$ فالسهم اكبر من
الفريضة فقالوا ان الفريضة تعول هنا اي تنقص ولا تفي بالسهم فوزعوا النقص على الجميع
بالنسبة، والصحيح المأثور عن اهل البيت (عليهم السلام) ان بعض الورثة لهم سهم لا ينزلون عنها
كالأبوين عن السدس والزوجة عن الثمن ، اما البنتان فينزل سهمهما عن الثلثين بمقدار
النقص .

(٢) وسائل الشيعه، كتاب الميراث، أبواب موجبات الإرث باب ٧ ح ٦.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٣٩﴾

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُقَدِّمَ لِمَا آخَرَ وَلَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِأُحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ الْمُتَحِيرَةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا، لَوْ كُنْتُمْ قَدَّمْتُمْ مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ وَأَخَّرْتُمْ مَنْ آخَرَ اللَّهُ وَجَعَلْتُمْ الْوَلَايَةَ وَالْوَرَاثَةَ حَيْثُ جَعَلَهَا اللَّهُ مَا عَالَ وَلِيُّ اللَّهِ وَلَا عَالَ سَهْمٌ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ وَلَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَلَا تَنَازَعَتِ الْأُمَّةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا وَعِنْدَنَا عِلْمُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَذُوقُوا وَبَالَ أَمْرِكُمْ وَمَا فَرَّطْتُمْ فِي مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(١)

إن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) للخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان سابقاً على يوم الغدير، أما الاحتفال الذي أقامه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم في طريق عودته إلى المدينة بعد حجة الوداع ودعا المسلمين إلى مبايعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالولاية والإمامة بعده (صلى الله عليه وآله) تلبية لأمر الجليل تبارك وتعالى حيث أنزل الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، أقول أما هذا الاحتفال فكان كاشفاً عن هذا الاستحقاق وإعلاناً رسمياً للتنصيب، وقد كان الكثير من الصحابة الأجلاء (رضوان الله تعالى عليهم) يعلمون أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) ويقرّون بولايته وعرفوا بتشيعهم له في وقت مبكر من حياة رسول الله

(ﷺ) قبل حديث الغدير .

فالنقاش إذن في دلالة قول النبي (ﷺ) يوم الغدير «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أو المناقشة في نزول الآية في قضية الغدير لا يقدم ولا يؤخر وهي شبهة مقابل البديهة - كما يقول العلماء - لأن حق أمير المؤمنين في خلافة رسول الله (ﷺ) لم يكتسبه من ذلك اليوم بل استحقه بما يحمل من صفات تؤهله لهذا المقام الشريف.

وقد أعلن رسول الله (ﷺ) هذا الاستحقاق في مناسبات عديدة سبقت قضية الغدير بسنين وكان بعضها - كحديث الدار - في وقت مبكر من البعثة في مكة المكرمة وفي حياة أبيه أبي طالب (رضي الله عنه) حتى تهكم بعض مشركي قريش من أبي طالب وقال له أن محمداً يدعوك إلى طاعة ولدك الصغير عليّ.

أيها الأحبة من كل طوائف المسلمين.

إنني أريد بهذا الكلام أن أقول أن الوحدة بين المسلمين تتحقق بالعودة إلى كتاب الله تبارك وتعالى وسنته الشريفة الصحيحة بعد تنقيحها من التلاعب والتزوير والدس الذي قام به المنافقون، وحينئذ سيلتقي جميع المسلمين عند الحقائق التي يعلمها الله تبارك وتعالى.

لقد كان أئمة اهل البيت (عليهم السلام) دوماً رسل محبة وسلام وألفه وهداية وصلاح وكانوا حريصين على وحدة المسلمين وحفظ كيانهم

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٤١﴾

قوياً عزيزاً كريماً وضحواً بحياتهم الشريفة من أجل ذلك، خذ مثلاً
أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كان يشعر بالمرارة والأسى لتضييع الأمة لحقه
ولكنه بقي خمساً وعشرين سنة صابراً محتسباً لم يدخر جهداً في
نصيحة المتصدين وتقويم عملهم ونصرة الإسلام والتضحية من أجل
اعلاء كلمة الله تعالى، ولكنه ما ان تصدى للخلافة حتى اثاروا عليه
حروباً شعواء ازهقت ارواح الالاف من المسلمين واضعفت شوكة
الإسلام.

والزم شيعتهم بنهجهم (عليه السلام) فمنذ الف واربعمئة عام يقتلون
ويعتقلون ويهجرّون ويعذبّون ويسجنّون وهم لم يردّوا بقتل الأبرياء او
تفجيرهم او تقطيع اعضائهم وما ان وصل بعض الشيعة الى السلطة في
العراق حتى انهالت على اهل العراق المفخخات والاحزمة الناسفة
وقطع الرؤوس والايدي والارجل وتهجر العوائل وغيرها من الجرائم
الكبرى.

ان الوصول إلى الحقيقة وكشفها وبيانها للناس وظيفة العلماء
الأجلاء والمفكرين والكتّاب وصنّاع الثقافة والرأي العام، ولا نصل إلى
الحقيقة إلا بتحرير العقول من التقليد والتعصب والتحجّر وذلك بفتح
باب الاجتهاد ودعوة العلماء الذين حصلوا العلوم التي تؤهل لممارسة
عملية استنباط الحكم الشرعي من مصادره الأصلية إلى عدم الوقوف

﴿١٤٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

على المذاهب المعروفة وتطبيق فتاوى أئمة المذاهب على الحالات التي تعرض عليهم وإنما يرتقون بمداركهم إلى استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، وسيجد علماء المسلمين جميعاً أنفسهم عند تلك القمة السامقة متفقيين متوحدين ينهلون من معين واحد ولا يختلفون إلا بالمقدار الطبيعي الذي يحصل بين علماء أي حقل من حقول العلم والمعرفة.

وقد وجدت خلال بحثي الفقهي الاستدلالي أن كثيراً من الروايات التي يستند إليها الفقهاء السنة والشريعة في استنباط الحكم الشرعي متطابقة الألفاظ فضلاً عن المعاني، ويعود الفضل في ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بني الطاهرين حيث بثوا عدداً ممن حملوا جملة من أحكامهم ومعارفهم ولا يجد المسلمون من غير أتباع أهل البيت حزازة في الأخذ عنهم كعبد الله بن العباس ونقل هؤلاء إلى عموم المسلمين علوم الشريعة من معدنها الصافي، وهذا نابع من رحمتهم وحبهم للناس جميعاً حتى وإن أعرضت الأمة عن إعطائهم المكانة التي يستحقونها.

أرجو أن يساهم السادة الحضور وكل من يسمع هذا النداء المخلص لتفعيل هذه الدعوة المباركة في أروقة حواضر العلم صانها الله تبارك وتعالى في بلاد المسلمين وإن يعوا مسؤولياتهم في هذه

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٤٣﴾

الظروف العصيبة التي يمرُّ بها المسلمون والتي ستؤثر في بناء مستقبلهم بحسب طريقة تعاطيهم مع هذه القضايا الحساسة.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِيكُمْ لِمَا فِيهِ الصَّالِحُ وَالْإِصْلَاحُ وَأَنْ يَثْبِتَ لَكُمْ قَدَمَ صَدَقٍ عِنْدَ مُلِكٍ مُقْتَدِرٍ، إِنَّهُ وَلِيُّ النِّعَمِ.
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ...

الباب الرابع

فقه الاختلاف والحوار والتقريب

الباب الرابع

فقه الاختلاف والحوار والتقريب

إذا كان الاختلاف في الفهم والاجتهاد أمراً ملازماً لحركة الفكر الإنساني، فإن المشكلة لا تكمن في وجوده، وإنما في الطريقة التي يدار بها. ومن هنا تحتل المعرفة المتبادلة والبحث المقارن موقعاً أساسياً في مشروع الوحدة عند المرجع اليعقوبي؛ لأن كثيراً من صور التباعد المذهبي تنشأ من الجهل المتبادل أو من التعرف إلى الآخر عن طريق الصور التي يصنعها خصومه عنه. لذلك دعا سماحته إلى أن يطلع كل فريق على ما عند الآخر بموضوعية ومهنية وإنصاف، وأن تعرض البحوث بصورة مقارنة بعيدة عن التعصب والتحجر، وأشار إلى تجربته في فقه الخلاف بوصفها تطبيقاً لهذا المنهج. ويجمع هذا الباب الكلمات التي تجعل الحوار العلمي والفقه المقارن وفتح باب الاجتهاد أدوات لبناء التقريب؛ فالوحدة لا تحتاج إلى إلغاء التنوع الفقهي، بل إلى عقل علمي قادر على إدارة هذا التنوع من داخل الدليل والحجة والإنصاف.

وعلى هذا الأساس، تجمع الكلمات الآتية أبرز معالم المنهج العلمي الذي اعتمده سماحته في إدارة الاختلاف، ومعرفة الآخر، وتفعيل الفقه المقارن والحوار بوصفها أدوات للتقريب لا أسباباً للتنازع :

- «جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب»
- «الفقه الاجتماعي مظهر لحيوية الشريعة الإسلامية»

جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب

أكّد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على ان توحيد الأمة والتقريب بين المذاهب الإسلامية عمل مبارك دعا إليه القرآن الكريم والقادة المعصومون (عليه السلام)، ولكي تنجح هذه المساعي فلا بد ان تتضمن برامج علمية وعملية.

وأوضح سماحته لدى استقباله^(١) جمعاً من الطلبة العراقيين الدارسين في جامعة المذاهب الإسلامية في ايران ان البرامج العلمية تتضمن اطلاع كل فريق على ما عند الآخر والاستفادة منه بموضوعية ومهنية وإنصاف، وان تعرض البحوث على نحو مقارن بعيداً عن التعصب والتحجر، وقد كان هذا المنهج متبعاً لدى الكثير من السلف الصالح ككتاب الخلاف للشيخ الطوسي وكتابي تذكرة الفقهاء ومنتهى المطلب للعلامة الحلي، وكان السيد البروجردي يشجع عل هذا المنهج ويسير عليه في بحثه الشريف، وتجد له تطبيقات كثيرة في المنهج الذي اتخذته لبحثي في (فقه الخلاف).

(١) تاريخ اللقاء الأربعاء ٦/ربيع ١٤٤٠/ الموافق ٢٠١٨/١١/١٤

ان هذا المنهج يساهم في تقارب وجهات نظر المسلمين وإزالة الحواجز المصطنعة بينهم ويفيد كلاً منهم مما عند الآخرين وهو تراث ضخم لا يصح إهماله، مضافاً الى انه يغني البحث ويفتح أمامه آفاقاً حقيقية لفهم النصوص الشرعية لان الكثير منها صدر بلحاظ ما عند الآخرين من فتاوى ومواقف ومناهج للتفكير والسلوك فالاطلاع عليها يوفر بيئة وقرائن مساعدة على فهم النص ووضعه في موضعه الصحيح، وقد جربت ذلك في موارد كثيرة في (فقه الخلاف).

فتأسيس جامعة المذاهب الإسلامية خطوة في الاتجاه الصحيح لتعزيز هذا المنهج بإذن الله تعالى ولا بد ان تراعي المدارس الدينية والجامعات الاكاديمية ذلك في كلياتها واقسامها ذات العلاقة في جميع بلاد المسلمين.

اما على صعيد الخطوات العملية فقد أشار سماحته إلى ضرورة تجنب الاستفزات وإثارة الفرقة والشحناء فانها من عمل الشيطان ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(١) وعدم تحميل الطائفة كلها مغبة بعض التصرفات والأقوال التي تصدر من بعض الأشخاص، وعدم التركيز على الشطحات الموجودة في الكتب نتيجة ظروف معينة عاشها المؤلف، ومثل هذه الشواذ لا تعبر عن رأي

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٥١﴾

الطائفة جميعاً، وعلينا جميعاً الحذر من الأعداء المتربصين بنا الذين يريدون تمزيق وحدتنا واشعال الحروب العنيفة بين أبناء الأمة مستخدمين الطائفية كأفتك سلاح لتحقيق هذه الأهداف فهي حرب طويلة وقذرة ومدمرة ولا رابح فيها من المتحاربين ولا خسارة فيها على الأعداء الذين يشعلونها ويغذونها لإدامة استنزاف البلاد وتحطيم قدراتها البشرية والمادية .

ومن الجدير بالذكر ان جامعة المذاهب الإسلامية مقرها في طهران ولها عدة فروع بالمحافظات الإيرانية وتستقبل آلاف الطلبة من جميع المذاهب الإسلامية من داخل إيران وخارجها، وقدّم مندوب الجامعة في العراق درعاً تكريمياً وبعض مؤلفات سماحة العلامة مختاري رئيس الجامعة.

الفقه الاجتماعي مظهر لحيوية الشريعة الإسلامية^(١)

الشريعة الإسلامية هي خاتمة الرسالات السماوية والنبى محمد (ﷺ) هو ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٢) وقد أبلغ (ﷺ) الرسالة كاملة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣) واقتضت الإرادة الإلهية بأن يكون هذا الدين هو المهيمن على كل الأديان والايديولوجيات البشرية قال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٥).

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الجمعة ١٢ شعبان ١٤٤٢ الموافق ٢٠٢١/٣/٢٦ لعرضها تلفزيونياً في مؤتمر تقرر عقده في بغداد بحضور علماء وأساتذة جامعات من العراق وعدد من الدول العربية والإسلامية تحت عنوان (الاجتهاد في مجال النظريات والنظم المجتمعية). ونشرت في خطاب المرحلة تحت الرقم (٦٥٤) .

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

لذا فقد أودعت فيها ديناميكية وحركية لمواكبة تطورات الحياة البشرية في ميادينها المختلفة، وقد أثبتت الشريعة الإسلامية قدرتها على تقديم الحلول وحل المشكلات ومواجهة التحديات طيلة القرون الماضية، وأثرت الحضارة الإنسانية بمختلف العلوم والمعارف والفنون، ولم يعجز الفقهاء عن العثور على الحكم والموقف والاجراء مع الدليل عليه في كل تلك المساحات.

وهذه الديناميكية تجلّت في مجالين:

الأول: نفس أحكام الشريعة فإن فيها ما هو ثابت لا يتغير عبر الأجيال لأنها أحكام لا تتأثر بتغيرات الحياة كحقوق الإنسان وكعلاقة الإنسان برّبه أو القيم الأخلاقية التي تستند إليها التشريعات وتنبع منها.

كما أن فيها ما هو متغير متحرك وفق ضوابط جعلتها الشريعة، وهذا لا يعني تحريفاً في الدين أو تغييراً للأحكام الثابتة لموضوعاتها، وإنما يتغير الحكم لتبدّل موضوعه بمرور الزمن والأحكام تتبع موضوعاتها، أو مراعاة لأمر أهم منه فيقدّم عليه عند تزامن الحكمين، أو لوجود عناوين ثانوية مسقطة للتكليف كنفي الحرج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١) أو دفع الضرر (لا ضرر ولا ضرار) أو لانتفاء علة

الحكم إذا كان منصوص العلة، أو لانتهاؤه أمدّه إذا كان موقتاً بزمن معين، أو لصدور أمر بالولاية من الفقيه الجامع لشرائطها، ونحو ذلك. فوجوب صوم شهر رمضان ثابت الا أنه إذا أضرَّ بصحة الانسان سقط عنه، وتصرّف الانسان في ملكه جائز لكنه إذا أضرَّ بالآخرين منع منه، وأداء الصلاة في وقتها واجب الا انها إذا زاحمها انفاذ حياة انسان وجب تقديم هذه الحالة الإنسانية على الصلاة.

وإن الأحكام قسماً، فبعضها تخاطب الفرد كوجوب الصلاة يومياً والصوم في شهر رمضان والحج للمستطيع، وبعضها اجتماعية عامة تخاطب الأمة ككيان من خلال مؤسسات الدولة أو النقابات، أو منظمات المجتمع المدني وسائر التشكيلات المجتمعية، فكل من هذه الكيانات النظامية والنخبوية مصداقٌ للأمة في الآية الكريمة ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).

وهذه الأحكام الاجتماعية العامة هي القسم الأهم من أحكام الشريعة، وتشكّل بعض الأحكام العامة مبادئ عليا وتكون أطراً ومحددات لسائر التشريعات التفصيلية، بحيث لو وقع تعارض بينها وبين الأحكام الأخرى فإنها تقدّم عليها ولا يصح منها الا ما وقع ضمن تلك

المحددات، وتكون العلاقة بينها وبين سائر احكام الشريعة كالعلاقة بين الدستور والقوانين التي تشرعها السلطة فيشترط فيها ان لا تخالف الدستور.

وقد تكفل القرآن الكريم ببيان هذه المبادئ العليا والقوانين العامة فهو كالدستور بالنسبة للتشريعات التفصيلية، لذا أمر أئمة الإسلام (عليهم السلام) بعرض كل ما يرد عنهم من فتاوى وأحكام على كتاب الله تعالى لاختبار صحة صدورها عنهم سلام الله عليهم، ففي رواية صحيحة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «خَطَبَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِمَنْى فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ، وَمَا جَاءَكُمْ يَخَالَفُ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلْهُ»^(١)، وقال (عليه السلام): «كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زَخْرَفٌ»^(٢).

فمبدأ كرامة الانسان مثلاً المستند الى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) حاكم على كل التشريعات، فلو توصل الفقيه الى حكم يتنافى مع هذا المبدأ فإنه يعتبر لاغياً، كما هو المفروض في القوانين الوضعية فلو شرع البرلمان قانوناً ينافي حقوق الانسان أو مبدأ العدالة

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ٦٩/١.

(٢) المحاسن: ٢٢١/١.

(٣) الإسراء: ٧٠.

الاجتماعية كالتمييز في الاستحقاقات على أساس القومية او الانتماء الحزبي او الجغرافي ونحو ذلك فانه قانون باطل لمخالفته المبدأ الثابت.

الثاني: آلية الوصول الى الحكم الشرعي واستخراجه من مصادر التشريع وهما القرآن الكريم والسنة الشريفة وهو ما يعرف بالاجتهاد الذي يُعرّف بأنه ملكة القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية، ففتح باب الاجتهاد اعطى للمقنن الإسلامي القدرة على معرفة الحكم الشرعي في كل الأمور قال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطُقَ لَكُمْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهُ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢) وقال الامام الصادق (عليه السلام): «مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ»^(٣) وقال (عليه السلام): «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلَفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُ الرِّجَالِ»^(٤) وقال (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَاللَّهِ مَا

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية): ٦١/١.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية): ٥٩/١.

(٤) المحاسن: ٢٦٨/١.

تَرَكَ اللَّهُ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ»^(١) وقال الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَام): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيْنَهُ لِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)»^(٢) وروى سماعة عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: «قُلْتُ لَهُ: أَكُلُ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، أَوْ تَقُولُونَ فِيهِ -أي تجتهدون فيه برأيكم-؟ قال: بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)»^(٣).

وفي كتاب الكافي للشيخ الكليني رواية صحيحة عن ابي عبد الله الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال فيها: «إِنْ عُنَدَنَا الْجَامِعَةُ، قُلْتُ: وَمَا الْجَامِعَةُ؟ قَالَ صَحِيفَةٌ فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى الْأَرَشُ فِي الْخَدَشِ»^(٤) وارش الخدش يعني التعويض المالي على الخدش البسيط في جلد الانسان.

حتى اشتهرت كلمة لدى الفقهاء (ما من واقعة الا والله فيها حكم) بما فيها الحالات المستحدثة وهو ما يعرف بفقهِ النوازل أو مستحدثات المسائل أو فقهِ الحوادث الواقعة التي ورد فيها التوجيه عن الامام

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ٥٩/١.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية): ٥٩/١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ٣٢/١.

(٤) وسائل الشيعة (ط - مؤسسة اهل البيت ع): ٣٥٦/٢٩.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٥٩﴾

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى الْأُمَّةِ «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(١).

ودعا الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الفقهاء المؤهلين لممارسة عملية الاجتهاد الى تفعيل هذه الملكة في استنباط الأحكام الشرعية، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَلْقِيَ إِلَيْكُمْ الْأَصُولَ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْرَعُوا»^(٢).

فمثلاً حينما توصل الطب المعاصر الى معالجة العقم بالإنجاب عن طريق التلقيح الصناعي حصلت مسألة مستحدثة لا توجد بعنوانها في كتب الفقه لذا تصدى عدد من الفقهاء للبحث عن حكمها، وبحثنا نحن في النصوص الشرعية عن حكم صورها المختلفة سواء جرت العملية بين الزوجين أو غير الزوجين وهل التلقيح داخلي أم خارجي؟ وهل تزرع البويضة الملقحة في رحم الزوجة أو امرأة غيرها وغير ذلك من التفاصيل وقد خرجنا بأحكام صورها المختلفة وحررناها مع ادلتها في كتاب مطبوع بعنوان (فقه الإنجاب الصناعي).

وبالرغم من ان السلطات الحاكمة اهتمت بالفقهاء وأغدقت عليهم الأموال ومنحتهم مكانة اجتماعية مرموقة الا ان تدخلها في عمل الفقهاء أثر سلباً في أداء وظيفتهم، فقد كانت السلطة تريد فتاوى تشرعن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤/٢.

(٢) وسائل الشيعة (ط - مؤسسة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ): ٦١/٢٧.

﴿١٦٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

اعمالها وتمرّ مشاريعها، وعانى الفقهاء الذين لم يمشوا مع اهواء السلطة من السجن والتعذيب والحرمان والقتل، ووصل الأمر بالسلطة الى اغلاق باب الاجتهاد وحصر المذاهب الإسلامية التي يجوز التعبد بها بالمذاهب المعروفة مما أدى الى انكماش في قدرة الفقهاء على الاستنباط، فصار الفقهاء مقيدّين يتحرّكون ضمن مساحة المذهب الذي ينتمون اليه.

وفي موازاة ذلك حوَصر الفقهاء الذين يتبعون أئمة أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وحرّموا من المشاركة الفاعلة في مؤسسات الدولة وتسيير أمور الأمة مما أدّى تدريجياً الى اهمال المسائل المرتبطة بالسياسة والحكم وإدارة الدولة والاقتصاد والاجتماع والشؤون العامة لشعورهم بأنها لا موضوع لها على أرض الواقع بالنسبة لهم فلا تستحق بذل العمر في التحقيق فيها فاقصروا على ما يعرف بالفقه الفردي أي التعريف بتكاليف الفرد وهو الموجود في الرسائل العملية.

ونتيجة لهاتين المشكلتين تراجع الفقه الإسلامي عن أداء وظيفته في تقديم الإسلام كنظام شامل للحياة وأصبحت قدرة الإسلام على قيادة البشرية وهي تصل ذروة التطور المادي وما يرافقه من تعقيد ومشاكل مثار جدل وتساؤل.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٦١﴾

لذا نحن مطالبون بأن نكون على مستوى المسؤولية لإبراز الشريعة الإسلامية كنظام قادر على إدارة شؤون المجتمعات المدنية المتحضرة وحل مشكلات البشرية مهما كانت معقدة، فنؤسس الفقه الاجتماعي ونؤصل له، لأن أصول الفقه وقواعده المتداولة لا تسدُّ حاجة هذا المشروع، فللفقه الاجتماعي أصوله كما أن للفقه الفردي أصوله وقد يلتقيان في بعضها دون بعض، فمن أصول الفقه الاجتماعي قاعدة وجوب حفظ النظام الاجتماعي العام وتقديم الأهم على المهم وطاعة ولي الأمر، وقد تصح وفق هذه النظرة قواعد لم تكن مقبولة على صعيد الفقه الفردي كالمصالح العامة ودفع المفساد وسدّ الذرائع بعد إقامة الدليل عليها.

وسنحتاج الى تثبيت الأسس الأخلاقية والمبادئ العليا لهذا الفقه مثل كرامة الانسان وحفظ حقوقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١) والعدالة الاجتماعية كما في قوله تعالى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٣) وبناء المجتمع الصالح على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النحل: ٩٠.

ونستثمر هذه المناسبة لتجديد الدعوة إلى المذاهب الإسلامية كافة لفتح باب الاجتهاد اسوة بالمذهب الامامي لتحرير العقل الفقهي ومنحه القدرة على المواكبة، وحصر الإفتاء بالمجتهدين الذين يملكون هذه الموهبة لقطع الطريق على المتطفلين الذين شوّها صورة الإسلام بفتاوى التكفير والإرهاب والتخلف والجهل مستدلين بروايات هنا وهناك من دون أعمال الفطنة والنظر الثاقب لفهم مراد الشارع المقدس بجعل بعض النصوص قرائن وشواهد على المراد من البعض الآخر.

ان البحث في الفقه الاجتماعي ليس ترفاً فكرياً نابعاً من فراغ، وإنما هو ضرورة حضارية، لأننا نفاخر الأيديولوجيات والنظم الوضعية الأخرى بأن الإسلام هو الأصلح لتنظيم حياة البشرية وانه النظام الأكمل والمستوعب لكل حاجات الناس في كل الأزمنة وله القدرة على مواكبة التغيرات، وهذا كله يتطلب تقديم الإسلام كنظام يدير شؤون الحياة في جوانبها المتعددة، وهذا لا يكفي فيه النمط المتعارف في الرسائل الفقهية، بل علينا أن نقدّمه كأظمة ونظريات وقوانين تقنع الآخرين بما عندنا ولا تتركنا عاجزين عن مجاراة الأمم في إدارة شؤونها.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٦٣﴾

وقد بذلت خلال العقود الأخيرة محاولات جادة في تقديم نظريات الإسلام على هذا الأساس ورأينا نتاجاً مثمراً ومثيراً للفخر والاعتزاز في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية.

ان الفقه الاجتماعي ليس بديلاً عن الفقه الفردي ولا يحيا بمعزل عنه فان الفقيه لا يكون (اجتماعياً) الا بعد أن يكون (فردياً) أي بعد أن ينال درجة الاجتهاد وفق الآليات المتعارفة في الحوزات العلمية، لأن الاستنباط في الفقه الاجتماعي نوع من التخصص في أعمال ملكة الاجتهاد فهو فقيه متخصص والمعروف أن التخصص في أي مجال علمي كالطب مثلاً يأتي بعد نيل أصل الملكة والقدرة على ممارسة المهنة.

وهذا التخصص يحتاج إلى أدوات إضافية كالخبرة بالواقع المعاش والمعرفة بالعلوم المرتبطة بهذا التخصص ويكون مصداقاً للحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام): «الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ»^(١)، ولكي يبدع في عمله فإنه يحتاج إلى مستشارين ومراكز بحثية ترفده بالبيانات التي تنقح موضوعات المسائل التي يريد النظر فيها، وهنا يبرز الدور المهم لأساتذة الجامعات والمتخصصين والنخب الفكرية.

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ٢٧/١.

﴿١٦٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

إن هذه النهضة تتطلب وجود فقهاء من صنف خاص أستطيع أن أصفهم بالمنظرين وهم الذين يستوعبون القضايا والمشاكل والمسائل المستحدثة ويفهمون أسرارها ثم يغوصون في أعماق الشريعة ليستخرجوا من دررها ما يحلّ تلك المشاكل ويجب المسائل وقد عرفت أروقة الحوزات العلمية في القرن الأخير نماذج فذة منهم كالمحقق النائيني والشيخ حسين الحلي والسيد الشهيد محمد باقر الصدر والسيد محمود الهاشمي (قدس الله ارواحهم جميعاً)، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

الباب الخامس

السلم الأهلي والتعايش وحفظ الحقوق والدماء

الباب الخامس

السلم الأهلي والتعايش وحفظ الحقوق والدماء

لا تكتمل الدعوة إلى الوحدة ما لم تتحول إلى ضمانات عملية لحياة الإنسان وكرامته وحقوقه وأمنه. ولهذا ترتبط الوحدة في كلمات المرجع اليعقوبي بحرمة الدم، ورفض التكفير، وحماية دور العبادة، وحقوق الأقليات، ومنع الاعتداء على الإنسان بسبب مذهبه أو هويته. وتكشف نصوص هذا الباب أن السلم الأهلي ليس تنازلاً عن المبادئ، وإنما هو ثمرة مباشرة للالتزام بأحكام الإسلام في حرمة الإنسان والعدل والإنصاف. وقد ظهرت هذه الرؤية بصورة عملية واضحة في موقف سماحته من وثيقة مكة المكرمة، التي أكدت أن المشتركات بين السنة والشيعة أضعاف مواضع الاختلاف، وحرمت التكفير والقتل والاعتداء على أساس الهوية المذهبية. كما جعلت الوحدة والتلاحم والتعاون على البر والتقوى من المبادئ التي يجب التمسك بها ومواجهة كل محاولة لتمزيقها. ومن هنا يجمع هذا الباب بين النظرية الأخلاقية والتطبيق الحقوقي والاجتماعي للوحدة.

وتتجسد هذه المبادئ في الكلمات الآتية التي تنتقل بالوحدة من مستواها الفكري إلى ضماناتها العملية في حفظ الدماء والحقوق والحرمات، وترسيخ التعايش والسلم الأهلي :

- درس نبوي في المصالحة المجتمعية»
- «التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام»
- «من مبادئ الإسلام في التعايش السلمي»
- «الحرمة الشديدة لسفك الدماء في الإسلام»
- «الآمال معلقة بوثيقة مكة المكرمة لإنهاء العنف في العراق»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (المتحنة: ١)

درس نبوي في المصالحة المجتمعية^(١)

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ
وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢).

هذه الآيات الأولى من سورة المتحنة فيها بحوث مهمة تتعلق
بالموالاتة والبراءة لكننا نتحدث الآن عن درس مستفاد من الحادثة التي
نزلت بسببها هذه الآيات وتصرف النبي (ﷺ) إزاءها، فقد روى علي
بن إبراهيم في تفسيره سبب نزول الآيات قال: «نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أساتذة وطلبة عدة مدارس
قرآنية في بغداد والكوفة يوم السبت ١٤/٣/١٤٣٨ المصادف ٢٠١٦/١٢/٣.

(٢) المتحنة: ١.

﴿١٧٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

أَبِي بَلْتَعَةَ^(١)، وَلَفْظُ الْآيَةِ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ خَاصٌّ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَاطِبَ
بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ عِيَالَهُ بِمَكَّةَ وَكَانَتْ
قُرَيْشٌ تَخَافُ أَنْ يَغْزَوْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَصَارُوا إِلَى عِيَالِ حَاطِبٍ
وَسَأَلُوهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا إِلَى حَاطِبٍ يَسْأَلُوهُ عَنْ خَبَرِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ
(ﷺ) وَهَلْ يُرِيدُ أَنْ يَغْزُو مَكَّةَ؟ فَكُتِبُوا إِلَى حَاطِبٍ يَسْأَلُونُ عَنْ ذَلِكَ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ حَاطِبٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يُرِيدُ ذَلِكَ، وَدَفَعَ الْكِتَابَ
إِلَى امْرَأَةٍ تَسْمَى صَفِيَّةَ^(٢)، فَوَضَعَتْهُ فِي قَرْنِهَا وَمَرَّتْ، فَنَزَلَ جَبْرِئِيلُ
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي طَلَبِهَا فَلَحَقُوهَا، فَقَالَ لَهَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَيْنَ الْكِتَابُ؟ فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ، فَفَتَشَوْهَا فَلَمْ يَجِدُوا
مَعَهَا شَيْئًا، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: مَا نَرَى مَعَهَا شَيْئًا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: وَاللَّهِ مَا

(١) حاطب بن بلتعنة اللخمي من اليمن كان حليفاً لقريش، هاجر الى المدينة وشهد بدرًا
والحديبية والمشاهد كلها، وفي الإصابة (ج ١/ص ٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨) عن المرزباني في
معجم الشعراء أنه كان أحد فرسان قريش في الجاهلية والإسلام، وقد يبعد ذلك ما ذكره في
الإصابة انه مات سنة ٣٠ وعمره ٦٥ عاماً وقد أسلم في مكة وهاجر فعمره في الجاهلية لا
يسمح باشتهار أمره، وفي الاستيعاب والموطأ انه كان شديداً على رقيقه وشكاه بعضهم الى
رسول الله (ﷺ).

(٢) وفي (سيرة ابن هشام: ٢٩/٤) أن اسمها سارة مولاة لبني عبد المطلب وقال في موضع
آخر كانت ممن يؤذي رسول الله (ﷺ) في مكة، وهي ممن أهدر النبي (ﷺ) دمها حين
فتح مكة ثم توسطوا لها وطلبوا لها الأمان فأمنها رسول الله (ﷺ).

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٧١﴾

كَذَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَلَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى جَبْرِئِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَا كَذَبَ جَبْرِئِيلُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاللَّهُ لَتُظْهِرَنِّي لِي الْكِتَابَ أَوْ لَأُورِدَنَّ رَأْسَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَتْ تَنْحِيَا حَتَّى أَخْرَجَهُ فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَرْنِهَا فَأَخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): يَا حَاطِبُ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ: حَاطِبُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَافَقْتُ وَلَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حَقًّا وَلَكِنْ أَهْلِي وَعِيَالِي كَتَبُوا إِلَيَّ بِحَسَنٍ صَنِيعٍ قَرِيشٍ إِلَيْهِمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجَازِيَ قَرِيشًا بِحَسَنٍ مَعَاشَرَتِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ- تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ- إِلَى قَوْلِهِ- لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١).

أقول: تضافرت روايات العامة في نقل هذه الحادثة أيضاً كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي وأبي نعيم وغيرهم^(٢) وفي هذا التصرف النبوي الشريف مثل أعلى يستحق أن يدرسه القادة والحكام في المصالحة المجتمعية والعفو عن الذين تزل أقدامهم من أبناء المجتمع ويخرجون على الدولة ويخرقون النظام

(١) تفسير القمي: ٣٦١/٢.

(٢) الدر المنثور: ١٢٥/٨.

﴿١٧٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

بسبب ضعف النفس او الجهل او سوء التقدير أو أي سبب آخر، بينما الجرم الذي ارتكبه حاطب يدخل فيما يسمى بالخيانة العظمى لتسريه اسراراً عسكرية تتعلق بأمن الدولة الى أعداء في حالة حرب مع الدولة، والقوانين المعاصرة تحكم على مرتكب هذا الجرم بالإعدام، لكن النبي (ﷺ) قبل عذره وزجر عمر بن الخطاب لأنه طلب من النبي (ﷺ) أن يأمر بقتله.

ولم يكتفي النبي (ﷺ) بل قام بما يسمى اليوم بإعادة تأهيله ودمجه في المجتمع وإزالة كل المضاعفات الاجتماعية التي حصلت له بسبب ارتكابه لهذه الجريمة فأرسله النبي (ﷺ) بكتابه الى المقوقس حاكم مصر في الإسكندرية حينما بعث برسائله الى ملوك العصر يدعوهم الى التوحيد وطاعة الله تعالى ومنهم: كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة وملوك اليمن وعمان والبحرين وغيرهم، وعاد الى النبي (ﷺ) ومعه هدايا ومارية القبطية التي تزوجها وولدت أبنة الوحيد إبراهيم.

وفي كتاب الاستيعاب^(١) ان بعثه كان في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية أي قبل أحداث فتح مكة وربما يظهر ذلك

(١) المطبوع بهامش الإصابة: ٣٥٠/١

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٧٣﴾

ايضاً من سياق حديث ابن هشام في السيرة^(١).

فعلينا ان نبرز هذه الصور المشرقة من رسالة الإسلام وقادته العظام لنعرف العالم بهذا الدين الرباني الذي هو أعظم هدية من الله تعالى خالق البشرية الى الانسان ليسعده.

ومضافاً الى هذا فأنا يمكن ان نستخلص عدة دروس أخرى من الآية الكريمة:

١- الانصاف والموضوعية حينما بدأ الخطاب بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والخطاب وإن كان عاماً إلا انه نزل في حادثة حاطب فلم يخرجهم عن الايمان بارتكاب هذه الجريمة الكبرى فالذين يكفرون الناس لاختلافهم معهم في بعض الاحكام أو في فهم بعض العقائد الدينية مخالفون لمنهج القرآن وأدبه.

٢- الطاعة والتسليم التام للقائد الذي تجلى في إصرار أمير المؤمنين (عليه السلام) على تنفيذ أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدم التهاون فيه كما حصل للزبير.

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٨/٤.

التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام^(١)

يكثر اليوم الحديث عن التعايش السلمي بين مكونات المجتمع وحفظ حقوق الأقليات في المجتمع المسلم ويراد معرفة رأي الإسلام فيها بعد الممارسات الاجرامية التي قام بها بعض من يدعون الإسلام زوراً وبهتاناً أو يرفعون شعارات إسلامية مكرراً وخداعاً، وفي مقام الإجابة نقول: لا يعبر عن موقف الإسلام الأصيل في أي قضية الاقاداته العظام من خلال سيرتهم وأقوالهم.

في كتاب (قرب الاسناد) بسنده عن الامام جعفر الصادق عن أبيه (عليه السلام): «أَنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) صَاحِبَ رَجُلًا ذَمِيًّا - أي من غير المسلمين الذين يعيشون في ظل دولة الإسلام -، فَقَالَ لَهُ الذَّمِّيُّ: أَيْنَ تَرِيدُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ - وهو لا يعرفه انه أمير المؤمنين ورئيس الدولة لأنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) لم يكن يتميز بأي وضع عن الآخرين - قَالَ: أُرِيدُ الْكُوفَةَ. فَلَمَّا

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ العنقوبي (دام ظله) مع حشد من شباب قضاء شط العرب والشباب الذي شاركوا في المعايشة الرمضانية في مكتب المرجعية في الكاظمية يوم الأربعاء ١٠ / شوال / ١٤٣٨ الموافق ٥ / ٧ / ٢٠١٧.

عَدَلَ الطَّرِيقَ بِالذِّمِّيِّ عَدَلَ مَعَهُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - أي لما وصلا الى مفترق طريق ويذهب كل منهما الى وجهته لم يذهب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في طريق الكوفة كما أراد -، فَقَالَ لَهُ الذِّمِّيُّ: أَلَيْسَ زَعَمْتَ تَرِيدُ الْكُوفَةَ؟ قَالَ: بَلَى. فَقَالَ لَهُ الذِّمِّيُّ: فَقَدْ تَرَكْتَ الطَّرِيقَ! فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُ. فَقَالَ لَهُ: فَلَمْ عَدَلْتَ مَعِي وَقَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): هَذَا مِنْ تَمَامِ حَسَنِ الصُّحْبَةِ أَنْ يَشِيعَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ هَنِيئَةً إِذَا فَارَقَهُ، وَكَذَلِكَ أَمَرْنَا نَبِيْنَا. فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ لَهُ الذِّمِّيُّ: لَا جَرَمَ إِنَّمَا تَبِعَهُ مِنْ تَبَعِهِ لِأَفْعَالِهِ الْكَرِيمَةِ، وَإِنَّمَا أَشْهَدُكَ أَنِّي عَلَى دِينِكَ. فَرَجَعَ الذِّمِّيُّ مَعَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَلَمَّا عَرَفَهُ أَسْلَمَ^(١).

أقول: هذه الرواية تبين واحداً من آداب الصحبة والمعاشرة وقد التزم بها أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع غير المسلم كما مع المسلم على حد سواء وهو في موقع قمة الهرم دينياً وسياسياً.

وروى الشيخ الطوسي (قَدْ رَضِيَ) في كتاب التهذيب بسنده عَمَّنْ بَلَغَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «مَرَّ شَيْخٌ مَكْفُوفٌ كَبِيرٌ يَسْأَلُ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَصْرَانِي، قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ!

(١) قرب الإسناد (ط - الحديثة): ١٠.

أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ»^(١).

أقول: يعني ان وجود فقير يستعطي الناس كانت حالة غريبة في دولة علي (عليه السلام) فأستغرب من وجود هذه الحالة لان جميع الحقوق المواطنين مكفولة على حد سواء في دولة أمير المؤمنين (عليه السلام).

وحتى حينما لا يكونون من مواطني دولة الإسلام لكنهم يأتون في زيارة دبلوماسية أو علمية أو استطلاعية ونحو ذلك فإنهم يحظون بنفس اللياقات والاحترام، في تفسير القمي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام): «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَكَانَ سَيِّدُهُمُ الْأَهْتَمَ وَالْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ وَحَضَرَتْ صَلَاتُهُمْ فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ بِالنَّاقُوسِ وَصَلُّوا، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَذَا فِي مَسْجِدِكَ فَقَالَ: دَعَوْهُمْ، فَلَمَّا فَرَّغُوا دَنَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالُوا: إِلَى مَا تَدْعُونَ؟ فَقَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مَخْلُوقٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَحْدُثُ قَالُوا: فَمَنْ أَبُوهُ؟ فَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي آدَمَ (عليه السلام) أَكَانَ عَبْدًا مَخْلُوقًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْكِحُ؟ فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: فَمَنْ أَبُوهُ؟ فَبِهِتُوا فَبَقُوا

سَاكِتِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آلِة) (١) إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وفي رواية أخرى يبين أمير المؤمنين (عليه السلام) الصورة الحقيقية الأصلية لشعائرهم قبل أن يحرفها أصحاب الاطماع حتى ضاعت الحقيقة تحت ركام الأوهام والضلالات والخرافات والانحرافات، في كتاب الامالي للشيخ الصدوق بسنده عن الحارث الهمداني قال: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرٌ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) فِي الْحِيرَةِ إِذَا نَحْنُ بِدَيْرَانِي يَضْرِبُ النَّاقُوسُ قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام): يَا حَارِثُ، أَتَدْرِي مَا يَقُولُ هَذَا النَّاقُوسُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَبْنُ عَمِّ رَسُولِهِ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهُ يَضْرِبُ مِثْلَ الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا صَدَقًا صَدَقًا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ غَرَّتْنَا وَشَغَلَّتْنَا وَاسْتَهْوَتْْنَا وَاسْتَغْوَتْْنَا يَا ابْنَ الدُّنْيَا مَهْلًا مَهْلًا يَا ابْنَ الدُّنْيَا دَقًّا دَقًّا يَا ابْنَ الدُّنْيَا جَمْعًا جَمْعًا تَفْنَى الدُّنْيَا قَرْنًا قَرْنًا مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا إِلَّا أَوْهَنَ [أَوْهَى] مِنَّا رُكْنًا قَدْ ضَيَعْنَا دَارًا تَبَقَى وَاسْتَوْطْنَا دَارًا تَفْنَى لَسْنَا نَدْرِي مَا فَرَطْنَا فِيهَا إِلَّا لَوْ قَدْ مَتْنَا قَالَ الْحَارِثُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النَّصَارَى يَعْلَمُونَ ذَلِكَ قَالَ لَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَمَا اتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ - لَكِنَّهُ التَّحْرِيفُ وَاخْفَاءُ الْحَقِيقَةِ وَتَجْهِيلُ

الناس وابتداع الطقوس والخرافات والتشبث بالأوهام كما يحدث الكثير في أمتنا حتى صار المصلحون والمطالبون بتنقية الدين من الشوائب والبدع غرباء محاربين - قال: فَذَهَبْتُ إِلَى الدَّيْرَانِي فَقُلْتُ لَهُ: بِحَقِّ الْمَسِيحِ عَلَيْكَ لَمَّا ضَرَبْتَ بِالنَّاقُوسِ عَلَى الْجَهَةِ الَّتِي تَضْرِبُهَا قَالَ: فَأَخَذَ يَضْرِبُ وَأَنَا أَقُولُ حَرْفًا حَرْفًا حَتَّى بَلَغَ إِلَى مَوْضِعٍ إِلَّا لَوْ قَدْ مَتَنَّا فَقَالَ: بِحَقِّ نَبِيِّكُمْ مَنْ أَخْبَرَكُمْ بِهَذَا قُلْتُ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ مَعِيَ أَمْسَ فَقَالَ: وَهَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ (ﷺ) مِنْ قَرَابَةٍ؟ قُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّهِ قَالَ: بِحَقِّ نَبِيِّكُمْ أَسْمِعْ هَذَا مِنْ نَبِيِّكُمْ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَالَ لِي: وَاللَّهِ إِنِّي وَجَدْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ وَهُوَ يَفْسِّرُ مَا يَقُولُ النَّاقُوسُ»^(١).

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)

من مبادئ الإسلام في التعايش السلمي^(١)

أدب من آداب القرآن و أخلاقه ونموذج راقى للسلام والتعايش الذي تنشده البشرية اليوم وكل يوم ذكره الله تعالى ضمن قصة ابني آدم هابيل وقابيل، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) والنبأ: الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي يفيد العلم، وهو هنا يتعلق بواقعة حدثت لابني آدم في بداية وجود البشر على الأرض وفيها الكثير من المواعظ والعبر، والقربان ما يتقرب به إلى الله تعالى، ولم تذكر الآيات الكريمة كيفية حصول العلم بالقبول وعدمه، لكن الروايات دلت على ان علامة القبول ان تأكله النار.

وتفيد صحيحة ابي حمزة في الكافي عن الامام الباقر (عليه السلام): «إِنَّ آدَمَ (عليه السلام) أَمَرَ هَابِيلَ وَقَابِيلَ أَنْ يَقْرَبَا قُرْبَانًا وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ غَنَمٍ

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد لسنة ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٦/٥

(٢) المائدة: ٢٧.

﴿١٨٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وَكَانَ قَايِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ فَقَرَّبَ هَايِيلُ كَبْشًا مِنْ أَفْضَلِ غَنَمِهِ وَقَرَّبَ قَايِيلُ مِنْ زَرْعِهِ مَا لَمْ يَنْقُ فَتَقَبَّلَ قَرْبَانَ هَايِيلَ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قَرْبَانَ قَايِيلَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَثَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَكَانَ الْقَرْبَانُ تَأْكُلُهُ النَّارُ^(١).

فالأمر بتقديم قربان كان من النبي آدم (عليه السلام) كجزء من تربيتهما وتعويدهما على الطاعة والأعمال الصالحة، أو لمعرفة المستحق لورثة أبيهما معنوياً وفي سؤال وجه إلى الامام الصادق (عليه السلام): «فِيمَ قَتَلَ قَايِيلُ هَايِيلَ؟ فَقَالَ: فِي الْوَصِيَّةِ»^(٢).

ويظهر من بعض الآيات الشريفة ان هذه التي كانت علامة القبول هي ايضا علامة استحقاق تحمل الرسالة الإلهية، قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِهْدُ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْمِنَ لِرُسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

فالآية الكريمة تشير الى ان السر في القبول وعدمه هو اخلاص

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ١١٣/٨.

(٢) تفسير العياشي: ٣١٢/١.

(٣) آل عمران: ١٨٣.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٨٣﴾

النية لله تبارك وتعالى وتنقية العمل وإحسانه المعبر عنه بالتقوى
فذكرت الآية معياراً عاماً للقبول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)
وذكره هايل بأدب ولم يقل لأخيه انك لست من المتقين، وبدلاً من
ان يدعن قابيل للحقيقة، ويسعى لإصلاح حاله ويعالج سبب عدم
القبول ويعود إلى طاعة ربه فإنه حسد أخاه حسداً شديداً وأصدر
قراره بقتل أخيه لكن أخاه الصالح هايل المتأدب بآداب الله تعالى
قابل أخاه بموقف إنساني نبيل كان كافياً لردع أخيه عن فكرته السيئة
فرفض ان يتصرف نفس التصرف ولا يقدم على قتل أخيه وان كان
أخوه عازماً على قتله، لأنه لا يفعل الا ما فيه رضا الله تبارك وتعالى
ولا يستفزّه خطأ الآخر فيدفعه لارتكاب خطأ مماثل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

في بعض قصص الأنبياء انه اتى له بأسرى في نهاية معركة انتصر
فيها فقال بعض أصحابه اقتلهم فامتنع النبي المنتصر ف قيل له انهم
يقتلون أسرانا فقابلهم بالمثل، قال: انهم ليسوا قدوة لنا، وقد سجل

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) المائدة: ٨.

القرآن الكريم زجره عن مثل هذا السلوك ﴿بقوله إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾^(١).
وفي سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أخبر أن عبد الرحمن بن
ملجم سيقتله ف قيل له: لم لا تقتله قال (عليه السلام): «لَا يَجُوزُ الْقِصَاصُ إِلَّا
بَعْدَ الْجَنَايَةِ»^(٢).

وهذا المبدأ شاهد على سمو القانون الاسلامي وتفوقه على
القوانين الوضعية التي تجيز ما يسمى بالضربة الاستباقية أي ضرب
الخصم إذا علم أو ظنّ بانه يستهدفه او لردعه عن التفكير بذلك.
ويجب الالتفات الى ان هابيل انما امتنع عن خصوص مد يده
لقتل أخيه ابتداءً ولمجرد الضربة الاستباقية اما بسط يده في الدفاع عن
نفسه فهذا حق مشروع له بل يجب عليه ان لا يمكن خصمه من نفسه،
لذلك فان قتل هابيل كان اغتيالاً، في تفسير العياشي بسنده عن ابي
جعفر (عليه السلام) قال: «لَمَّا قَرَّبَ ابْنَا آدَمَ الْقُرْبَانَ فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ: تَقَبَّلَ مِنْ هَابِيلَ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنْ قَابِيلَ دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ
حَسَدٌ شَدِيدٌ وَبَغَى عَلَى هَابِيلَ وَلَمْ يَزَلْ يَرْصُدُهُ وَيَتَّبِعُ خَلْوَتَهُ حَتَّى ظَفَرَ
بِهِ مَتْنَحِيًّا عَنْ آدَمَ فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ»^(٣).

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢٧٩/٤٢.

(٣) تفسير العياشي: ٣٠٦/١.

واستعمال القرآن الكريم لمفردة التطويع، يكشف عن ان هذا الفعل الشنيع ما كان مستساغاً في أول الأمر لأنه خلاف الفطرة وحكم العقل بقبح الظلم والعدوان، ولا زالت البشرية في أول تكونها ولم ينتشر الفساد في الأرض فاستمر الشيطان في تزوين القتل واستثارة الحسد في نفسه الأمانة بالسوء حتى انقاد لهواه مما يبين خطورة رذيلة الحسد وأمثاله من الدوافع الذاتية السيئة على سلوك الفرد بغض النظر عن تأثير البيئة الاجتماعية إذ لم يتشكل يومئذ مجتمع بعد، ونفذ قابيل ما تأمره به نفسه ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

ولا يخفى ما في كلمة ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ من دلالة على المحاولات المتكررة والضاغطة لدفعه إلى تنفيذ الجريمة ولو أغلق على نفسه باب التفكير فيها لما وصل إلى هذه النتيجة، وهذا هو الحال في فعل المعاصي خصوصاً الكبائر فإنه لا يفعلها بمجرد خطورها على ذهنه ولكن استجابته لعملية الدعوة المتكررة والتزوين تجعله يستسلم لفعلها ففي رواية الكافي المتقدمة «إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ أَنَا هُوَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ فِي الْعُرْوِ فَقَالَ لَهُ: يَا قَابِيلُ، قَدْ تَقَبَّلَ قَرْبَانَ هَابِيلَ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قَرْبَانَكَ وَإِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَهُ يَكُونُ لَهُ عَقَبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلَى عَقَبِكَ

﴿١٨٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وَيَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ الَّذِي تَقْبَلُ قُرْبَانَهُ فَاقْتُلْهُ كَيْلًا يَكُونَ لَهُ عَقَبٌ
يَفْتَخِرُونَ عَلَى عَقَبِكَ فَقَتْلُهُ»^(١).

وهذه اللطيفة القرآنية نور آخر نقتبسه من الآية الكريمة حاصله:
ان الايمان ليس مجرد عقيدة نظرية وإنما هو سلوك والتزام بما يريده
الله تعالى وتحكيم شريعته في الحياة، حيث كشفت الاخبار أن إيمان
قابل كان نظرياً فقط.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنه خسر نفسه حيث أوردتها النار بهذا
الآثم العظيم وتحمل أثم أخيه^(٢)، وخسر أخاه الصالح المحب له
الشفيق عليه، وخسر دنياه لأن حياته أصبحت منكدة كئيبة ﴿فَأَصْبَحَ
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)، وخسر كرامته وسمعته الاجتماعية.

والآية الكريمة تشخص مشكلة خطيرة وبلاءً عظيماً يتعرض له
الصالحون والمصلحون عند ما يناصبهم العداء ويكيد لهم من لا يروونه
عدواً لهم ويتورعون عن القيام بفعل يشبه ما يريد فعله الخصوم ونتيجة
ذلك أن يتلقى العدوان بنفس صابرة مطمئنة ويدافع عن نفسه بما يتيسر

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ١١٣/٨.

(٢) عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: «مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًّا أَثْبَتَ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ جَمِيعَ الذُّنُوبِ
وَبَرَّئَ الْمُقْتُولَ مِنْهَا» [بحار الأنوار: ٣٧٧/١٠١].

(٣) المائدة: ٣١.

له.

وفي الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام): «لَا يَنْفَكُ الْمُؤْمِنُ مِنْ خِصَالٍ أَرْبَعٍ: مَنْ جَارَ يُؤْذِيهِ، وَشَيْطَانٌ يَغْوِيهِ، وَمَنَافِقٌ يَقْفُو أثره، وَمُؤْمِنٌ يَحْسَدُهُ، قُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ، مُؤْمِنٌ يَحْسَدُهُ؟ قَالَ: يَا سَمَاعَةَ، أَمَا إِنَّهُ أَشَدُّهُمْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَقُولُ فِيهِ الْقَوْلَ فَيَصَدِّقُ عَلَيْهِ»^(١).

فالخصم إذن مؤمن لا تستطيع ان تؤذيه او تعتدي عليه لكنه يحسد ويبغي ويفتري ويشوه الصورة ويسقط السمعة والكرامة ولا تستطيع أن تقابله بالمثل.

وقد ابتلي أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا البلاء فقد بغى عليه وقاتله مسلمون مقربون إليه يحرص كل الحرص على اكرامهم، وكان (عليه السلام) يمنع أصحابه من أن يبدأوا خصومهم بالقتال، وإنما يقاتلون دفاعاً عن أنفسهم.

ومن خطاب الامام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء لأهل الكوفة « سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا كَانَ فِي أَيْمَانِنَا وَحَشَشْتُمْ - أَيِ اوقدتم - عَلَيْنَا نَارًا اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُونَا وَعَدُوَّكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ إِبِلًا لَفًّا عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ وَيَدًا

(١) الأماي (للصديق): ٤٩٢.

﴿١٨٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

لَأَعِدَّكُمْ^(١) فهؤلاء الرجال والسلاح الذي بأيديهم هم لنا ويجب ان يكونوا من جند الإسلام لأنهم مسلمون بحسب الظاهر، لذا كان (عليه السلام) يمنع أصحابه من ان يبدأوهم بقتال ولم يقاتلوا الا دفاعاً عن أنفسهم.

ومن قصيدة دعل الخزاعي الشهيرة:

إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى وَاتَرِيهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبَضَاتٍ^(٢)

(١) تحف العقول: ٢٤٠.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٦٣/٢.

الحرمة الشديدة لسفك الدماء في الإسلام^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

للإنسان قيمة كبرى في الشريعة الإسلامية فهو خليفة الله تعالى في أرضه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) واستحق بذلك التكريم من الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) وجعل للنفس الإنسانية حرمة كبيرة تفوق حرمة الكعبة، ففي الحديث الشريف عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه أقبل إلى الكعبة وقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَرَّمَكَ وَشَرَّفَكَ وَعَظَّمَكَ وَجَعَلَكَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاللَّهُ لَحَرَمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ حَرَمَةً مِنْكَ»^(٤)، وفي صحيحة أبي حمزة عن الامام الباقر أو الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في حادثة قتل وقعت وقَّدت ضد مجهول كما اليوم حيث لم يعرف القاتل: «قَتِيلٌ بَيْنَ

(١) خطاب المرحلة ، ج ، ص ، الرقم ٦٤١.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢٣٣/٧١.

﴿١٩٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الْمُسْلِمِينَ لَا يَدْرِي مَنْ قَتَلَهُ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ شَرَكُوا فِي دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَرَضُوا بِهِ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ
فِي النَّارِ، أَوْ قَالَ: عَلَى وَجُوهِهِمْ^(١). فقتل الإنسان لأخيه الإنسان خروج
عن زيِّ العبودية لله تعالى ومنازعة له سبحانه في سلطانه، لأن الله تعالى
خالق الإنسان ومالكه وهو وحده من له حق التصرف فيه.

ووقف رسول الله (ﷺ) بمنى حين قضى مناسكه في حجة
الوداع أمام عشرات الآلاف من المسلمين ليبلغهم هذه الرسالة ولينزع
من نفوسهم استخفاف الجاهلية -أي جاهلية لا تعمل بأحكام الإسلام-
بحرمة الدماء وامتهان القتل فقال (ﷺ): «أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ فَقَالُوا:
هَذَا الْيَوْمُ، فَقَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ فَقَالُوا: هَذَا الشَّهْرُ، قَالَ: فَأَيُّ
بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: هَذَا الْبَلَدُ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ
حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ
فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا هَلْ بَلَغْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَلَا
مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ارْتَمَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ
مُسْلِمٍ وَلَا مَالُهُ إِلَّا بِطَبِيعَةِ نَفْسِهِ وَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي
كُفَّارًا»^(٢).

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ٢٧٢/٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠/٢٩، أبواب القصاص في النفس، باب ١، ح ٣.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿١٩١﴾

وليبيان هول هذا الأمر فقد جعل الاعتداء على الفرد الواحد اعتداءً على الإنسانية جميعاً ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

لذا غلظت الشريعة الإسلامية العقوبات على إزهاق النفس، فمن قتل متعمداً فلولي الدم أي ذوي المجني عليه الاقتصاص من القاتل لأن مثل هذه العقوبة تردع من يفكر بالعدوان على الآخرين وتدع الناس يعيشون حياتهم بأمن وسلام ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وأوجب الشارع المقدس دفع مال كثير يسمى (الدية) لذوي المجني عليه إذا كان القتل خطأ محضاً أو خطأ شبيهاً بالعمد، لكيلا يذهب الدم المحترم شرعاً هدرًا حتى لو وقع القتل خطأ محضاً. ولكي يتجنب الناس أي فعل يمكن أن يؤدي إلى القتل أو الإضرار بالآخرين حتى ولو خطأ، وفي دفع الدية تطيب لخواطر ذوي المجني عليه وغلق باب الانتقام والثأر والانجرار إلى القتل المتبادل، ولذا سميت الدية (عقلاً) لأنها تعقل أي تمنع من وقوع الدم وتحمي المجتمع من التجري على الدماء قبل الحادث باجتنب الأسباب وتمنع

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) البقرة: ١٧٩.

استمرارها بعد وقوعه.

في ضوء كل هذا فإن ما نشهده اليوم من استخفاف بالدماء
ووقوع حوادث القتل والاغتيال المتكررة لمجرد اختلاف في المواقف
أو وجهات النظر أو الخلاف على أمر معين أو لصراع سياسي أو
عشائري أو طائفي أو قومي أو جغرافي وغير ذلك هو من أفطع
الحرمات وأشدّها إغضاباً لله تعالى وأجلبها لسخطه سبحانه.
فعلى أهل الحكمة والعقل بذل الجهود الجبارة لإصلاح الحال
وحماية المجتمع من أي فعل شنيع والله ولي التوفيق.

محمد اليعقوبي / النجف الأشرف

١٨ محرّم الحرام ١٤٤٢

٢٠٢٠/٩/٧

الآمال معلقة بوثيقة مكة المكرمة

لإنهاء العنف في العراق^(١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾^(٢).

إننا في العراق نشعر بجزيل الشكر والامتنان للسادة الذين عملوا بجد وإخلاص لتنظيم مؤتمر علماء الدين الإسلامي في مكة المكرمة من أجل حقن الدم العراقي الذي يسفك يوميا بلا مبرر، ولقد أبلغت شكري هذا إلى السيد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي اتصل بي هاتفيا من جدة يدعوني لحضور هذا التجمع المبارك ونقلت له حرص المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف عاصمة العلم والفكر والسلام على إنجاح هذا المؤتمر، وأن يكون بداية النهاية لهذه الفتنة

(١) نص الخطاب الذي وجهه سماحة الشيخ اليعقوبي من خلال وسائل الإعلام إلى المشاركين في مؤتمر علماء الدين العراقيين من السنة والشيعة قبل عقده بيوم واحد، وقد تم التوقيع على وثيقة مكة المكرمة مساء يوم الجمعة ٢٦/رمضان/١٤٢٧ الموافق ٢٠/١٠/٢٠٠٦ في فندق مجاور للبيت الحرام ووقعها ثمانية وعشرون شخصاً مناصفة بين الشيعة والسنة.

(٢) الأعراف: ٤٣.

العمياء التي تعصف بالعراق.

أيها الأحبة المجتمعون في اشرف بقعة عند بيت الله الحرام وفي اشرف زمان وهي العشر الأواخر من شهر رمضان التي تتضمن ليلة هي عند الله خير من ألف شهر، إننا وإن كنا لم نحضر معكم بأبداننا إلا أن مشاعرنا وآمالنا متعلقة بكم وقد أرسلنا وفداً رفيع المستوى ليقع على الوثيقة الصادرة عنكم، وقد اطلعت على كل بنودها^(١) فوجدتها جامعة

(١) نص وثيقة مكة المكرمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

بناءً على ما آلت إليه الأوضاع في العراق، وما يجري فيه يومياً من إهدار للدماء وعدوان على الأموال والممتلكات تحت دعاوى تتلبس برداء الإسلام، والإسلام منها براء، وتلبية لدعوة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وتحت مظلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع للمنظمة..

نحن علماء العراق من السنة والشيعة، اجتمعنا في مكة المكرمة، في رمضان من عام ١٤٢٧هـ وتداولنا في الشأن العراقي، وما يمر به أهله من محن ويعانونه من كوارث، وأصدرنا الوثيقة الآتي نصها:

أولاً: المسلم هو من شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو بهذه الشهادة يعصم دمه وماله وعرضه إلا بحققها وحسابه على الله. ويدخل في ذلك السنة والشيعة جميعاً، والقواسم المشتركة بين المذهبيين أضعاف مواضع الاختلاف وأسبابه، والاختلاف بين المذهبيين -أيئنا وجد - هو اختلاف نظر وتأويل وليس اختلافاً في أصول الإيمان، ولا في أركان الإسلام، ولا يجوز شرعاً لأحد من المذهبيين أن يكفر أحداً من المذهب الآخر؛ لقول رسول الله (ﷺ): «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدَهُمَا»، ولا يجوز شرعاً إدانة مذهب بسبب جرائم بعض أتباعه.

ثانياً: دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم عليهم حرام. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وقال النبي (ﷺ): «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ»، وعليه فلا يجوز التعرض لمسلم شيعي أو سني بالقتل أو الإيذاء، أو الترويع أو العدوان على ماله أو التحريض على شيء من ذلك، أو إجباره على ترك بلده أو محل إقامته أو اختطافه أو أخذ رهائن من أهله بسبب عقيدته أو مذهبه، ومن يفعل ذلك برئت منه ذمة المسلمين كافة مراجعهم وعلمائهم وعامتهم. ثالثاً: لدور العبادة حرمة، وهي تشمل المساجد والحسينيات وأماكن عبادة غير المسلمين، فلا يجوز الاعتداء عليها أو مصادرتها أو اتخاذها ملاذاً للأعمال المخالفة للشرع، ويجب أن تبقى هذه الأماكن في أيدي أصحابها، وأن يعاد إليهم ما اغتصب منها وذلك كله عملاً بالقاعدة الفقهية المسلمة عند المذاهب كافة أن (الأوقاف على ما اشترطه أصحابها) وأن (شرط الواقف كنص الشارع) وقاعدة أن (المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً).

رابعاً: إن الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية كما يحدث في العراق هي من الفساد في الأرض الذي نهى الله عنه وحرمه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، وليس اعتناق مذهب، أياً ما كان، مسوغاً للقتل أو العدوان ولو ارتكب بعض أتباعه ما يوجب عقابه إذ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

خامساً: يجب الابتعاد عن إثارة الحساسيات والفوارق المذهبية والعرقية والجغرافية واللغوية، كما يجب الامتناع عن التنازع بالألقاب وإطلاق الصفات المسيئة من كل طرف على غيره، فقد وصف القرآن الكريم مثل هذه التصرفات بأنها فسوق قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

سادساً: ومما يجب التمسك به وعدم التفريط فيه، الوحدة والتلاحم والتعاون على البر والتقوى، وذلك يقتضي مواجهة كل محاولة لتمزيقها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقال ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، ومن مقتضى ذلك وجوب احتراز المسلمين

﴿١٩٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

لخصال الخير والسلام والتسامح والاتفاق على بناء أسس الحياة الكريمة، لذا فاني ألزم جميع العراقيين بالعمل بما ورد في الوثيقة الموقع عليها ولا يجوز لأي أحد خرقها ومخالفتها ومن يفعل ذلك فانه

جميعاً من محاولات إفساد ذات بينهم وشق صفوفهم وإحداث الفتن المفسدة لنفوس بعضهم على البعض الآخر.

سابعاً: المسلمون من السنة والشيعة عون للمظلوم ويد على الظالم، يعملون بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ومن أجل ذلك يجب العمل على إنهاء المظالم، وفي مقدمتها إطلاق سراح المختطفين الأبرياء والرهائن من المسلمين وغير المسلمين. وإرجاع المهجرين إلى أماكنهم الأصلية.

ثامناً: يذكر العلماء الحكومة العراقية بواجبها في بسط الأمن وحماية الشعب العراقي وتوفير سبل الحياة الكريمة له بجميع فئاته وطوائفه، وإقامة العدل بين أبنائه، ومن أهم وسائل ذلك إطلاق سراح المعتقلين الأبرياء، وتقديم من تقوم بحقه أدلة جنائية إلى محاكمة عاجلة عادلة وتنفيذ حكمها، والإعمال الدقيق لمبدأ المساواة بين المواطنين.

تاسعاً: يؤيد العلماء من السنة والشيعة جميع الجهود والمبادرات الرامية إلى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة في العراق عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، وبقوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.

عاشراً: المسلمون السنة والشيعة يقفون بهذا صفا واحداً للمحافظة على استقلال العراق، ووحدته وسلامه أراضي، وتحقيق الإرادة الحرة لشعبه؛ ويساهمون في بناء قدراتهم العسكرية والاقتصادية والسياسية، ويعملون من أجل إنهاء الاحتلال، واستعادة الدور الثقافي والحضاري والإسلامي والإنساني للعراق.

ليس فقط يظلم نفسه وإنما يظلم أمته.

ويجب على كل الدول التي لها تأثير في أحداث العراق أن تلتزم بها لأن الفتنة إذا وقعت -لا سامح الله- فإنها لا تقتصر على المباشرين لها، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١) وهذا الحكم واجب الإتياع ليس فقط على أتباع المرجعية التي أصدرته وإنما على الجميع؛ لأن من الثابت فقهيًا إن حكم الحاكم الشرعي لا يجوز نقضه حتى لمجتهد غيره.

لقد بدأنا بمثل هذه الخطوة المباركة في محافظة البصرة قبل شهر رمضان المبارك وتنعم بثمارها الطيبة كل أهل البصرة وشهد العدو والصديق بنجاحها في وقف العنف؛ لإيمان الجميع بضرورة الالتزام بها، ونحن اليوم مدعوون إلى تعميمها إلى كل أنحاء العراق.

إن الشعب العراقي بكل طوائفه وأعراقه يطلب من حملة السلاح تحت أي مبرر كان عدا القوات الرسمية المسؤولة عن بسط الأمن وسيادة القانون إلى إلقائه من حين التوقيع على هذه الوثيقة المباركة حتى نعطي الفرصة للحوار وحل كل العقد التي أدت بنا إلى هذا الحال، وقد كان عندي أمس السيد رئيس الوزراء وعبر بوضوح عن استعداداته الكامل للتقدم في كل اتجاه يخرج العراق من محنته.

وإذا كان عندكم مانع من الحوار مع البعض لسبب أو لآخر فأنا بخدمتكم وقلبي وعقلي مفتوح لكم ولا يوجد عندي ما يوجب صدودكم، فأنا مسلم اشهد أن لا اله إلا الله وان محمد رسول الله (ﷺ)، وأنا عربي أصيل يرجع نسبي إلى قبيلة الأوس الأنصارية التي آوت رسول الله (ﷺ) ونصرته، وأنا عراقي ولدت أنا وآبائي وأجدادي في النجف الأشرف وعشت محنة شعبي في كل مراحلها ولم أغادر بلدي، وليس لأحد في الشرق ولا في الغرب تأثير علي ولا سلطان علي إلا الله تبارك وتعالى ولا اتبع إلا الحق ، ومواقفي الوطنية مشهودة وآخرها الوقوف بحزم ضد كل مشاريع تفتيت العراق وتجزئته تحت مختلف المسميات، ويمكن التواصل معي مباشرة أو عبر الهاتف أو من خلال قنوات موثوقة وسأكون خير عون بلطف الله تبارك وتعالى لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، فاتركوا السلاح جانباً وأعطوا فرصة للحوار لا تقل عن شهرين لتجتمع كل الاطراف المعنية في موسم الحج المبارك وتدرس النتائج التي ستكون حتماً مباركة طيبة لأنها تحظى برعاية الله عظمت آلاؤه.

إنكم بالتزامكم جميعاً بهذه الوثيقة ستسحبون الذرائع من قوات الاحتلال التي تبرر وجودها بتردي الوضع الأمني، وتفشلون مشاريع تقسيم العراق التي تجعل العنف الطائفي سبباً وتصور التقسيم وكأنه

الحل الوحيد لإنهاء هذه الحالة.

أيها الإخوة في الله تعالى:

إني أعلم وأنتم تعلمون أن العنف الذي يشهده العراق ليس طائفيًا فقد عشنا في كل الأزمنة السابقة وحتى الآن سنة وشيعة متآخين متحابين، وإنما هو في الغالب سياسي ويتولى كبره سياسيون طامعون في السلطة والإثراء بغير حق ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾^(١) وإنما يلبسونه ثوب الطائفية ليعبئوا لمعركتهم هذه من يسير على غير هدى، لذا لابد من الشروع فور البدء بالالتزام بوثيقة مكة المكرمة بإصلاحات سياسية جذرية، وقد تداولت مع عدد من الأخوة المسؤولين بأفكار مهمة في هذا المجال تجعل كل شيء قابلاً للنقاش إلا ما حرم حلالاً أو أحلّ حراماً في شريعة سيد المرسلين.

أيها الأحبة :

إن الشعب العراقي متدين ومنصاع إلى علمائه وهذا من لطف الله تعالى بنا، فاستثمروا هذه الحالة لضبط حركته وتوجيهه نحو ما يصلح حاله، وإذا لم نقم بواجبنا هذا فنحن مسؤولون أمام الله تعالى عن هذا التقصير والخذلان ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) وأذكر الجميع

(١) التوبة: ١٠.

(٢) الصافات: ٢٤.

﴿٢٠٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

بالحديث النبوي الشريف «صَنَّفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ: الْفُقَهَاءُ وَالْأَمْرَاءُ». إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ خُصُوصاً نَبِيَّنا الْعَظِيمَ مُحَمَّد (ﷺ) رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَلَنَكُنْ كَذَلِكَ رِسْلَ رَحْمَةٍ وَسَلَامٍ لِكُلِّ الْبَشَرِ وَلَيْسَ لَطَائِفَةٌ دُونَ أُخْرَى أَوْ قَوْمِيَّةٌ دُونَ أُخْرَى^(١).

محمد اليعقوبي

٢٥/شهر رمضان/١٤٢٧

١ - كاد المؤتمر أن يفشل بسبب عدم تمثيل المرجعيات الدينية وعدم حضور العلماء من الصف الأول، ولكن التشجيع والدعم الذي حصل عليه الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلو خلال اتصاله الهاتفي مع سماحة الشيخ اليعقوبي يوم ٢١/ رمضان / ١٤٢٧ ووعده سماحته بإنجاح المؤتمر بكل ما يتيسر له و منها تأييد الوثيقة بهذا الخطاب القوي المحكم، وبعث وفداً كبيراً ضم فضيلة الشيخ محمد الهنداوي والسيد حسين المرعبي نائب رئيس ديوان الوقف الشيعي والشيخ علي القرشي والشيخ أحمد الكعبي ، وقام الوفد بتوزيع نسخ من الخطاب على كل الحاضرين . وقد تلا مستشار الأمين العام فقرات مهمة من الخطاب على المشاركين في المؤتمر بعد التوقيع على الوثيقة.

الباب السادس

مهددات الوحدة وسبل تحصين الأمة

الباب السادس

مهددات الوحدة وسبل تحصين الأمة

لا تكفي الدعوة إلى الوحدة من دون تشخيص العوامل التي تنتج الفارقة وتعيد إنتاجها في المجتمع. ولهذا يتجه المرجع اليعقوبي في عدد من خطاباتهِ إلى ما وراء مظاهر الصراع، فيبحث عن جذوره النفسية والفكرية والثقافية؛ وفي مقدمتها التعصب، والكراهية، والعصبية المذهبية أو القومية أو الحزبية، وثقافة التكفير والتطرف. فالتعصب - في تحليله - يعمي الإنسان عن رؤية الحق ويمنعه من سماع الآخر، ثم يوجب الحقد والانتقام، ولا سيما حين يتغلف بالعناوين الدينية المقدسة. وتتحول هذه الحالة بعد ذلك إلى بيئة قابلة للاستثمار من قبل المشاريع التي تريد تفتيت الأمة وإثارة الحروب الطائفية؛ وهو ما حذر منه سماحته حين عدَّ إشعال الفتنة وتغذية التعصب واستفزاز المشاعر الدينية من أخطر وسائل تمزيق النسيج الاجتماعي. ومن هنا يأتي هذا الباب ليجمع بين تشخيص المرض وبيان وسائل التحصين منه.

﴿٢٠٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ومن هنا تأتي النصوص الآتية لتشخص أبرز العوامل التي تهدد وحدة الأمة من داخلها وخارجها، بدءاً بالتعصب والكراهية، وانتهاءً بثقافة التكفير ومشاريع التفتيت.

- «السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب»
- «نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان»
- «جامعة المذاهب الإسلامية مشروع ناهض للوحدة الإسلامية وللحد من مخاطر التكفير والتطرف الفكري والديني»
- «المشاريع الشيطانية التي أُعدَّت لتمزيق الأمة الإسلامية والعربية»

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ (الفتح: ٢٥)

السياسة النبوية المباركة

في مكافحة داء التعصب^(١)

تقع الآية في سياق الحديث عما وقع من أحداث انتهت إلى توقيع صلح الحديبية بين النبي (ﷺ) وقريش حيث عزم النبي (ﷺ) ومعه أصحابه على أداء العمرة وزيارة البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة بعد واقعة الأحزاب وحين شارفوا على مكة محرمين ملبّين من غير سلاح منعتهم قريش من دخولها ومن الهدي أن يبلغ محله أنفةً واستكباراً وعتواً إذ إن البيت الحرام آمن للجميع وليس من حق قريش منع أحد يقصده لكنهم أنفوا أن يدخل رسول الله (ﷺ) مكة وزعموا أن في هذا إهانة لهم امام العرب فصدّوا رسول الله (ﷺ) واصحابه عن أداء نسكهم وانتهت العملية بصلح الحديبية ورجوع النبي (ﷺ) على أن يؤدي العمرة في السنة الآتية.

فالآية الكريمة تصف بعض أحوال مشركي قريش في مواجهتهم مع النبي (ﷺ)، وتشخص داءً اجتماعياً فتاكاً يؤدي بصاحبه إلى

(١) كلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في افتتاح الموسم

الدراسي يوم الأحد ١٥ / محرم / ١٤٤١ الموافق ٢٠١٩/٩/١٥.

﴿٢٠٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الصدود عن الحق والابتعاد عن التفكير العقلاني ومنطق الحكمة وهو التعصب وحمية الجاهلية، حيث يصرّ المبتلى به على موقفه ورأيه ومعتقده ولا يريد أن يصغي إلى الآخر ولا يعطي لعقله الفرصة حتى يتعرف على ما هو الحق ليتبعه، وهو داء كان ولا يزال يفتك بالأمم ويمزّقها وينهي وجودها فلا بد من الاستفادة من هذا الدرس القرآني لمعالجة هذا المرض الاجتماعي الخطير.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهم باختيارهم أوجدوا في قلوبهم عصبية الجاهلية وصيروا الغضب المودع في نفوسهم وقلوبهم لنصرة الحق والدفاع عن المقدسات والمبادئ النبيلة، غضباً جاهلياً فحرموا أنفسهم من رؤية الحق وإتباعه.

والحمية هي الغضب اذا اشتد وازداد حتى تشتعل حماوته في القلب، اما الجاهلية فهي من الجهل، والمعروف في ثقافتنا العامة ان الجهل مقابل العلم فيطلق على حالة عدم العلم، لكنه في المصطلح القرآني يراد به ما يخالف الحكمة، ووضع الشيء في غير موضعه، وفعل الشيء على خلاف ما يستحقه سواء على صعيد العلم أو العمل وبه صرحت الآية الكريمة ﴿يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١) فجعل الجهل ما يقابل الحق، أما جعله في ثقافتنا مقابل العلم فباعتبار

(١) آل عمران: ١٥٤.

أن عدم العلم هو سبب الوقوع في ما يخالف الحكمة والحق.
واستقراء الآيات الكريمة يؤكّد هذا المعنى وهو ان الجاهلية حالة
وأوضاع تعيشها الأمة عندما تبتعد عن المنهج الإلهي في العقائد
والتشريعات والسلوك ولا تختص بزمان معين، لاحظوا الآيات التالية
التي ورد فيها لفظ الجاهلية، والمجالات العديدة التي تناولها:

١- ﴿يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١) وهي تشير إلى
جاهلية الاعتقادات والتصورات حينما لا يعتقد الانسان بالخالق أو لا
يعرف صفاته سبحانه، أو يتعلق بالمؤثرات والأسباب دونه سبحانه أو
يجعل له شركاء في التدبير، أو يراقب غيره في الملأ أكثر مما يراقبه
تعالى في الخلوة، ونحو ذلك، فهذه كلها اعتقادات وظنون جاهلية.

٢- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾^(٢) وهي جاهلية التشريعات ووضع القوانين وفق ما تمليه
اهواء الناس ومصالحهم وما تقتضيه ظنونهم وأنظارهم القاصرة من دون
مراعاة الشريعة الإلهية، وقد وضع الأئمة المعصومون (عليه السلام) حداً
فاصلاً وحازماً في ذلك، روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي
بصير عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: «الْحُكْمُ حُكْمَانِ: حُكْمُ اللَّهِ، وَحُكْمُ

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) المائدة: ٥٠.

﴿٢٠٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الْجَاهِلِيَّةَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١) وَأَشْهَدُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ لَقَدْ حَكَمَ فِي الْفَرَائِضِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

٣- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٣) وهي جاهلية السلوك المنحرف عن تعاليم الشريعة والمخالف لما يريده الله تبارك وتعالى وقد فاقت جاهلية اليوم التصور في الانحلال والفساد والرجوع إلى أسوء حالات التخلف والحيوانية، وزادت على الجاهليات السابقة فكيف نحصر الجاهلية بزمان قبل الإسلام؟

٤- ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾^(٣) وهي جاهلية الفكر والثقافة والنزعات النفسية وسائر الدوافع التي تحرك الانسان في حياته ويبنى عليها سلوكه وتصرفاته ويرمج عليها سائر شؤونه.

لذا قلنا في كتاب (شكوى القرآن) وغيره ان الوقوف على المعنى المدرسي المتداول للجاهلية والذي يراد به الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام خاصة ليس دقيقاً ولا يطابق المصطلح القرآني، ونعتبره افراغاً

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ٤٠٧/٧.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الفتح: ٢٦.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٠٩﴾

لهذا المصطلح المهم من معناه الذي تترتب عليه آثار عظيمة ومسؤوليات كبيرة على مستوى إصلاح الفرد والمجتمع، وربما يكون عذرهم أنه تقسيم فني للفترات الزمنية، لكنه قد يكون فعلاً متعمداً لخلق شعور لدى الأمة الإسلامية بالاسترخاء والراحة والدعة باعتبارهم قد أدّوا ما عليهم وأصبح الناس مسلمين والمجتمع إسلامياً وما يستلزم ذلك من التخلي عن مسؤولية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ووعي تفاصيل ما جاء به النبي محمد (ﷺ) والالتزام بالشريعة على مستوى الفرد والمجتمع، وما يستلزم أيضاً من انتهاء وظيفة القرآن بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بينما الجاهلية بأشكالها المتعددة مستمرة ومسؤوليتنا في هداية الناس ورجوعهم الى الله تعالى متواصلة حتى يأذن الله تعالى بتطهير الأرض من الظلم والفساد والانحراف وإقامة دولة الحق والعدل.

وعلى أي حال، فإن الآية محل كلامنا تتناول الشكل الرابع من مظاهر الجاهلية التي كانت تتحكم في المعسكر المقابل للنبي (ﷺ) فقد كانت قريش مصابة بمرض الانانية والتكبر والعناد والتعنت والرياء والبطر وكان التعصب يقودهم ويذكي في قلوبهم تلك الأمراض فتتحول إلى نيران تغلي في صدورهم ثم يصير غضبهم حمماً من الكراهية والعنف والحقد والحسد والانتقام مما يزيد في ولوغهم في

﴿٢١٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الجريمة والانحطاط والضلال، ويصرون على عبادة أصنام يصنعونها بأيديهم من الخشب والحجارة ثم يعبدونها من دون الله تعالى العظيم خالق السماوات والأرض ، فأى حمية وعصبية اسوأ من هذه؟
بينما الفريق المقابل لهم وهم المؤمنون يتمتعون بالسكينة والاطمئنان والحكمة وحب الخير للجميع ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى - أي جعلها ملازمة لهم - وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا - لأنهم يستحقونها وهم حملتها من دون الناس - وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١) فقد سلموا لأمر الله تعالى ورسوله ورجعوا عن زيارة البيت الحرام وخالفوا هواهم ورغبتهم في دخول مكة ولو عنوة.

ذم التعصب:

وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن التعصب لغير الحق، منها ما روي في الكافي عن رسول الله (ﷺ) قال: «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ

(١) الفتح: ٢٦.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢١١﴾

تَعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رَبْقٌ^(١) الْإِيمَانَ مِنْ عُنْقِهِ^(٢) فَاَلْتَعَصَّبَ لَهُ شَرِيكَ فِي الذَّمِّ لِأَنَّهُ رَضِيَ بِفَعْلِهِمْ وَلَمْ يَنْهَهُمْ عَنْهَا بَلْ هَيَّا الْأَجْوَاءَ لَهَا وَزَيْنَهَا لَهُمْ، وَعَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَغْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٣).

وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»^(٤).

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي بَعْضِ خُطْبِهِ: «فَأَطْفُئُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ» وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِيهَا: (فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَأَ الشَّنَّانَ - أَيِ الْبَغْضِ - وَمَنَافَخَ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةَ حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ»^(٥).

(١) رَبْقٌ جَمْعُ رِبْقَةٍ وَهِيَ كُلُّ مَا يَشْدُو إِلَى الْإِيمَانِ وَيُمْسِكُهُ بِهَا مِنْ عَقَائِدٍ وَاحْكَامٍ وَأَخْلَاقٍ، وَالرِبْقَةُ فِي الْأَصْلِ عُرْوَةٌ فِي حَبْلِ تَجْعَلُ فِي عُنْقِ الْبَهِيمَةِ أَوْ يَدُهُ تُمْسِكُهَا.

(٢) الْكَافِي (ط - الْإِسْلَامِيَّة): ٣٠٨/٢.

(٣) الْكَافِي: ٣٠٨/٢ ح ٣.

(٤) سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: ٣٣٢/٤ ح ٥١٢١.

(٥) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ (لِلصَّبْحِيِّ صَالِحٍ): ٢٨٨.

ما هو التعصب:

التعصب يعني الانحياز للانتماء الشخصي أو الفئوي والتشدد في الدفاع عنه بغض النظر عن كون موقفه حقاً أو لا، فالمقياس عنده نصره جهته وليس نصره الحق ولو ظهر له الحق بالبرهان والدليل فانه يصّر على ما هو عليه من معتقد أو موقف.

روي ان رسول الله (ﷺ) سئل عن العصبية فقال: «أَنْ تَعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ»^(١) وأجاب الامام زين العابدين (عليه السلام) قال: «الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شَرَّارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبُّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»^(٢).

وروى في البحار عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد بسند صحيح عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ بِالْإِسْلَامِ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّفَاخُرَ بِأَبَائِهَا وَعَشَائِرِهَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ طِينِ أَلَا وَإِنْ خَيْرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْرَمَكُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ اتَّقَاكُمْ وَأَطُوعَكُمْ

(١) سنن أبي داود: ٣٣١/٤ ح ٥١١٩.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية): ٣٠٨/٢.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢١٣﴾

لَهُ أَلَا وَإِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَالِدٍ وَلَكِنَّهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ فَمَنْ طَعَنَ يَنْكُمُ وَعَلِمَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ رِضْوَانُ اللَّهِ حَسْبَهُ أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ أَوْ مَظْلَمَةٍ أَوْ إِحْنَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهِيَ تَظَلُّ تَحْتَ قَدَمِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقد تنوعت وتشعبت العناوين التي يتعصب لها الناس فالعصبية يمكن أن تكون للأنا أو للعشيرة أو للحزب أو للقومية أو المصالح المادية أو اللون أو للمدينة أو للدولة أو للفريق الرياضي أو لشخص يهواه وقد يكون التعصب لأمر تافه، وأشدّها خطورة وأكثرها قسوة التعصب المغلف بالعناوين المقدسة التي يراد منها سوق الناس لأغراض دنيوية كالحروب الصليبية أو الفتن الطائفية التي تقع بين اتباع المذاهب داخل الدين الواحد ويذكر التاريخ الكثير من هذه الحروب والفتن الدامية، ومكمن خطورة هذا التعصب من جهة قوة تأثير الدين والمذهب على سلوك الإنسان وتوجيهه، ومن جهة أن القداسة الدينية التي يغلفون بها مآربهم الدنيوية تسدُّ على الناس منافذ التفكير العقلاني وتغيب منطق الحكمة خصوصاً إذا احاطوها بضجيج من التحشيد بكل الأدوات.

والتعصب من المهلكات التي تزَلُّ فيها الأقدام وتكمن خطورته في أنه يعمي صاحبه عن رؤية الحق ويفقده البصيرة فلا يقبل برأي

﴿٢١٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الآخر وليس عنده الاستعداد لسماعه والتأمل فيه لأنه يعتقد أنه هو وحده صاحب الحق وانه وحده يمتلك الحقيقة وان غيره على باطل وضلال، مضافاً إلى أنه يوجب في قلبه نيران الحقد والانتقام فيسير إلى شفاء غليله على غير هدى ويتخط ويرتكب أفعال المجانين، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «الْحَدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ لَأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ»^(١) وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: «إِنَّ هَذَا الْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَوْقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ وَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا غَضِبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِيهِ»^(٢).

تاريخ التعصب وما يتعصب له:

والعصبية متجذرة في بني آدم منذ أول الخلقة وكانت سبباً لهلاك ابليس وخروجه عن طاعة الله تعالى ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٣)، ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾^(٤)، قد أخذها ابليس فحاً لإفساد الناس بعد أن تورط بها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذم ابليس «فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ فَعَدَّوُا لِلَّهِ إِمَامَ

(١) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ٥١٣.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية): ٣٠٤/٢.

(٣) الأعراف: ١٢.

(٤) الإسراء: ٦١.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢١٥﴾

الْمُتَعَصِّينَ وَسَلَفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِیَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ^(١).

وابتلي بها الناس من بعد ذلك، حتى في عصر النبوة والوحي والنور ترى العصبية الجاهلية تحرك بعض الناس كالتي حصلت بين الأوس والخزرج^(٢) حتى تواعدوا القتال على طريقتهم في الجاهلية لو

(١) نهج البلاغة (للصباحي صالح): ٢٨٦، وهي خطبة جليلة مطوّلة في ذم العصبية والتحذير منها وبيان علاجها.

(٢) حكى العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج ٩ ؛ ص ٧٢ عن العلامة الشيخ الطبرسي (رحمته الله) في مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَصْدُورَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٩٩) «قيل أنهم - أي اليهود - كانوا يغرون بين الأوس والخزرج يذكرونهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخوا عن الدين». وروى بعض مفسري العامة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠) انها نزلت في شاس بن قيس وهو يهودي أراد تجديد الفتنة بين الأوس والخزرج بعد انقطاعها بالنبي (ﷺ)، «فجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس و الخزرج فانشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم، فكأنهم دخلهم من ذلك فقال الحي الآخرون: قد قال شاعرنا كذا وكذا، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية، فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته، فلما سمعوا صوت رسول الله ﷺ بالقرآن انصتوا له، وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح و عانق بعضهم بعضاً و جثوا يبيكون»، عن عكرمة وابن زيد وابن عباس. والذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي، دس على الأوس والخزرج من يذكروهم ما كان بينهم من الحروب، وأن النبي (ﷺ) أتاهاهم وذكرهم، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع النبي (ﷺ) سامعين مطيعين،

لا ان النبي (ﷺ) بادر بسرعة واطفاً نار الفتنة.

وكذا الفتنة التي كادت تشتعل بسبب العصبية بين المهاجرين والأنصار وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَيْنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله قال: «كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ - أَي ضَرَبَ دُبْرَهُ بِيَدِهِ - رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ، قَالَ: مَا هَذَا، فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُتَنَتَةٌ»^(٢) فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الأوس والخزرج. ﴿إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني شاسا وأصحابه. ﴿يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ قال جابر بن عبد الله: «ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله، فأومأ إلينا بيده فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا؛ فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله، فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم». تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٢٢٧/١١.

(١) المنافقون: ٨

(٢) صحيح البخاري (ط - السلطانية): ١٥٤/٦، ح ٤٩٠٧.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (عليه السلام) ان الحادثة وقعت والنبي (صلى الله عليه وآله) خارج في غزوة المريسيع فأسرع (صلى الله عليه وآله) في رجوعه إلى المدينة وواصل سيره ليلاً ونهاراً^(١) ليصل المدينة قبل وقوع المحذور. وكان النبي (صلى الله عليه وآله) حازماً في مواجهة العصبية ولو بأبسط اشكالها. روى في تفسير القمي أن قوله تعالى ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(٢)، «...نَزَلَتْ فِي عَثْكَ - كناية عن عثمان وصرحت بذلك روايات أخرى - يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بَعْمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَهُوَ يَحْفَرُ الْخَنْدَقَ وَقَدْ ارْتَفَعَ الْغُبَارُ مِنَ الْحَفْرِ فَوَضَعَ كَمَّهُ عَلَى أَنْفِهِ وَمَرَّ، فَقَالَ عَمَارُ:

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَبْنِي الْمَسَاجِدَ فَيَصَلِّي فِيهَا رَاكِعاً وَسَاجِداً
كَمَنْ يَمُرُّ بِالْغُبَارِ حَائِداً يَعْزُضُ عَنْهُ جَاحِداً مَعَانِداً

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عَثْكَ فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ إِيَّايَ تَعْنِي، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ لَهُ: لَمْ نَدْخُلْ مَعَكَ لَتَسَبِّ أَعْرَاضَنَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): قَدْ أَقْلَتِكَ إِسْلَامُكَ فَاذْهَبْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ

(١) تفسير القمي: ٣٦٨/٢.

(٢) الحجرات: ١٧.

لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾.

وروى الثمالي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) قال: «إِنَّ أَبَا ذَرٍّ عَيْرَ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (ﷺ) بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ وَكَانَتْ أُمُّهُ سَوْدَاءَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): تَعِيرُهُ بِأُمِّهِ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ أَبُو ذَرٍّ يَمْرُغُ وَجْهَهُ بِالتُّرَابِ وَرَأْسَهُ حَتَّى رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْهُ» (٢).

وهكذا كان النبي (ﷺ) حازماً في مواجهة التعصب ومحاولات التفرقة وإلقاء الفتنة، كما كان مهتماً بنشر قيم الوحدة والتألف والمودة وله (ﷺ) مشاريع عملية في تعزيز هذه القيم الإنسانية النبيلة، انتهت بالمجتمع المسلم الى أن يصفه الله تبارك وتعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

لقد حكى القرآن الكريم نماذج من التعصب كتعصب فرعون لأصله واستعلائه على بني إسرائيل ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ

(١) تفسير القمي: ٣٢٢/٢.

(٢) الزهد: ٦٠.

(٣) الحشر: ٩، راجع بعض قصص الايثار في ظل السياسة النبوية المباركة في أسباب نزول هذه الآية في تفسير البرهان: ٢٦٨/٩ وفي تفاسير العامة.

وَاَعْتَصِمُوا.....﴿٢١٩﴾

أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴿١﴾، وكتعصب بني إسرائيل وشعورهم بالأفضلية على سائر الناس وأنهم شعب الله المختار، وتعصب اليهود والنصارى لديانتهم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾﴿٢﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾﴿٣﴾، ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾﴿٤﴾، وتعصب العرب لقوميتهم ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ

● فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾﴿٥﴾، أو التعصب للمال والولد ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا﴾﴿٦﴾، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾﴿٧﴾ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ● فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ

(١) القصص: ٤.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) المائدة: ١٨.

(٤) آل عمران: ٧٥.

(٥) الشعراء: ١٩٨-١٩٩.

(٦) الأنعام: ٥٣.

(٧) الكهف: ٣٤.

أَسُورَةً مِّنْ ذَهَبٍ ﴿١﴾.

وتعصب الرجال لجنسهم مما دفعهم إلى اضطهاد المرأة وحرمانها من حقوقها حتى حق الحياة فكانوا يقتلون المولودة الأنثى ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ﴿٢﴾، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٣﴾.

وتعصب بعض العشائر والقبائل لنفسها والافتخار على غيرها وأنها أفضل من الآخرين فلا تزوج بناتها لغيرهم لكنهم يتزوجون من غيرهم ويسمون أنفسهم (الحمس) وقد انتقلت هذه العادة الجاهلية إلى بعض المتممين نسبياً إلى رسول الله (ﷺ).

ويكشف أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ألمه لتفشي داء التعصب في الأمة بلا روية ولا حكمة ولا سبب وجيه يقول: (عليه السلام) في ذلك «ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة أما إبليس فتعصب على آدم لأصله وطعن عليه في خلقته فقال: أنا ناري، وأنت طيني، وأما

(١) الزخرف: ٥٢-٥٣.

(٢) التكوين: ٨-٩.

(٣) النحل: ٥٨.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٢١﴾
الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مَتَرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لَأَثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمَعْدِيَّينَ^(١).

علاج التعصب:

إن علاج التعصب يبدأ من رفع مستوى الوعي والفكر والثقافة لدى الأمة وإدراك أن التنوع في الجنس واللون والعرق واللغة، وحالة الاختلاف والتعدد في الآراء والأفكار والتوجهات حالة طبيعية اقتضتها طبيعة الناس وإنها من السنن الجارية في الناس ولا يدل شيء منها على أفضلية أحد على أحد وإنما التفاضل بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣)، حتى الاختلاف في الهداية والضلال فأنها طبيعية اقتضتها حرية الاختيار للإنسان ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤) ولو أراد الله تعالى أن يكون كل البشر مهتدين إلى دينه لما أعجزه ذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ

(١) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ٢٩٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) هود: ١١٨.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

﴿٢٢٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾^(١)، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٢).

والخطوة الثانية في العلاج هو الحوار والاستماع إلى الآخر والانفتاح عليه وافترض ان كل الاحتمالات مفتوحة وان كل النتائج ممكنة والاتفاق على مبادئ يبنى عليها الحوار ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾^(٣)، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤) وتمثل أرقى مراتب التواضع العلمي والحوار المنفتح فيجعل نفسه - مع انه الحق المطلق - مع الآخر في خط شروع واحد في بداية الحوار فلا توجد بيننا أفضلية أو شروط مسبقة.

والخطوة الثالثة تربية النفس والمجتمع على مبادئ الإنسانية العليا كالترسامح والعفو والرحمة والتعاون والعدالة والانصاف ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٥)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٦)، وتعزيز القيم التي توحد الناس وتجمعهم

(١) الأنعام: ٣٥.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) آل عمران: ٦٤.

(٤) سبأ: ٢٤.

(٥) هود: ٨٥.

(٦) المائدة: ٨.

وَاعْتَصِمُوا.....﴿٢٢٣﴾

كالمواطنة التي تؤسس لمساواة أبناء الوطن الواحد في الحقوق والواجبات من دون تمييز قومية أو ديانة أو عشيرة أو مدينة ونحو ذلك. ونبذ الثقافة الهدامة التي تدعو إلى التعصب والتكفير والحقن والكرهية والاستعلاء والاستبداد والاستئثار والتحذير من مثيري الفتن الذين يجترونها بعض خلافاً للماضي ويريدون جرّ الأمة إلى الوراء ولا يريدون لها أن تعيش حاضرها ومستقبلها.

التعصب المحمود:

إن الحميّة تكون محمودّة اذا كانت لنصرة الدين والأخلاق الفاضلة والدفاع عن الحرمات والنصرة المستندة إلى الحجة والبرهان والدليل وليس إلى الأهواء والمطامع والانتماء إلى الحزب أو العشيرة أو البلد ونحو ذلك، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنْ كُنْتُمْ لَا مَحَالَةَ مَتَّعِيبِينَ فَتَعَصَّبُوا لِنَصْرَةِ الْحَقِّ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ»^(١)، وقال موبخاً المتخاذلين ومحرضاً لهم «مَنِيتَ بِمَنْ لَا يَطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يَجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حِمِيَّةَ تَحْمِشُكُمْ»^(٢) - أي تثير غضبكم -.

(١) عيون الحكم والمواعظ (لليثي): ١٦٣.

(٢) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ٨١.

﴿٢٢٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وقال (عليه السلام): «...فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمَجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِحَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبَرِّ وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبْرِ وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتَنَابِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ...»^(١).

وهذه الحمية والغضب للحق تكون سبباً للتوفيق ودافعاً لفعل الطاعات، روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: «لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ حَمِيَّةٌ غَيْرُ حَمِيَّةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ غَضَباً لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي حَدِيثِ السَّلَى الَّذِي أُلْقِيَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»^(٢).

إن من الخطوات المهمة على طريق التمهيد لدولة الحق والعدل تنقية المجتمع من رواسب الجاهلية ومنها التعصب وتربيته على مبادئ الإسلام الأصيل المستقاة من أهل البيت (عليهم السلام).

وتظهر هذه القيم السامية بشكل جلي وواضح في سلوك اتباع أهل

(١) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ٢٩٥.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية): ٣٠٨/٢. وقد ذكرت جملة من المصادر قصة اسلام حمزة منها بحار الأنوار: ٢١١/١٨ و٢٨٥/٧٣، والسلا: هو ما يرافق جنين الحيوان عند ولادته كالجلد الرقيق الذي يحيط به وأن أبا جهل وضع سلا جزور على رأس رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو يصلي.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٢٥﴾

البيت (عليه السلام) أيام الزيارة الأربعينية ويعكسون صوراً من التفاني والايثار والمحبة والتضحية ليس لها نظير والمطلوب ادامة هذا السلوك على مدار السنة ما دمنا نعتقد انه حق وفيه رضا لله سبحانه ولأهل البيت (عليه السلام) وعدم العودة الى ما يشين وما يسخط الله تعالى وأوليائه.

نشر الكراهية والبغضاء

في المجتمع من عمل الشيطان^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢).

روي في مجمع البيان والدر المنثور عن جملة من المحدثين عن
سعد بن أبي وقاص قال: «في نزل تحريم الخمر صنع رجل من الأنصار
طعاماً فدعانا فأتاه ناسٌ فأكلوا وشربوا حتى انتشوا من الخمر، وذلك
قبل تحريم الخمر فتفاخروا فقالت الأنصار: الأنصار خير، وقالت قريش:
قريش خير، فأهوى رجل بلحي جزور فضرب على أنفي ففرزه فكان

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام
ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج والحوزة العلمية يوم الأربعاء ٢
ذو القعدة ١٤٤٦ الموافق ٢٠٢٥/٤/٣٠.

(٢) المائدة: ٩١.

﴿٢٢٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

سَعْدٌ مَفْزُورَ الْأَنْفِ قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَزَلَّتْ
هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (١) الْآيَةُ (٢).

وفي رواية سالم بن عبد الله «أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَصْحَابًا
لَهُ شَرِبُوا فَاقْتَلَوْا فَكَسَرَ أَنْفَ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ﴾ الْآيَةُ».

فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَبَيَّنَ أَشَدُّ مَفَاسِدِ الْخَمْرِ وَالْقَمَارِ الَّتِي أَوْجِبَتْ
تَحْرِيمَهُمَا الْمُؤَكَّدَ وَالَّتِي يَسْعَى الشَّيْطَانُ لِإِحْدَاثِهَا بِوَاسِطَتِهِمَا وَهُوَ إِلقاءُ
الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ رَجَسٌ، أَيُّ عَمَلٍ قَذَرٍ
خَبِيثٍ يَتَنَزَّهُ مِنْهُ مَنْ فَعَلَ الشَّيْطَانُ، وَمَنْ يَقُومُ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ
وَمُسَاعِدٍ لَهُ ﴿شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا﴾ (٣)، وَأَنَّ فَلَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ فِي اجْتِنَابِ كُلِّ
رَجَسٍ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وَتَنْقِيَةِ الْمَجْتَمَعِ مِنْ هَذِهِ
الْأَرْجَاسِ، بَلْ تَنْقِيَةِ النَّفْسِ أَوَّلًا مِنَ الْأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ وَالْحَسَدِ
وَالْكِرَاهِيَةِ فَإِنَّهَا تَكْثُرُ الْقَلْبَ وَتُلَوِّثُ النَّفْسَ وَتَشْغَلُ الْفِكْرَ وَتَصْدِّ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَشَدُّهَا فَتْكَاً نَشْرَ الْكِرَاهِيَةِ وَإِثَارَةَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ أَفْرَادِ

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) الدرر المنتور: ٣ / ١٥٨.

(٣) الأنعام: ١١٢.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٢٩﴾

المجتمع، وكأنَّ هدف الشيطان من إغرائكم بالخمير والميسر هو إيقاع العداوة والبغضاء بينكم، وصدّكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهذه هي أهدافه الإستراتيجية كما يقال ولا يملّ من ممارستها.

لذا فإن نشر الكراهية وإيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين من الجرائم الكبرى؛ لأنها تمزّق الأمة الواحدة وتهدر طاقاتها وإمكاناتها، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾^(١) وتفقدوا عزّتها وكرامتها وقوتها ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢)، فيضعفون جميعاً أمام العدو المتربص بهم، وتشغلهم عن ذكر الله تعالى كما صرحت الآية، وتصرف اهتمامهم إلى التفاهات بل تؤدي بهم إلى الموبقات، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ بَالِغٍ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَّ»^(٣)، والأخطر من ذلك أنها تضيّع الهدف الأسمى الذي أرسل الأنبياء وأنزلت الشرائع من أجل تحقيقه، وهو وحدة الأمة ولمّ شملها ومعالجة الاختلافات فيما بينهما ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

(١) النحل: ٩٢.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) نهج البلاغة (للصبيحي صالح): ٥٢٨.

﴿٢٣٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١﴾.

فيريد الشيطان بإغراءاته ووساوسه تهديم هذين الغرضين الإلهيين (إقامة الدين وجمع أمر الناس)، فلا بد من إفشال مشروع شياطين الإنس والجن بنشر المحبة والوئام والألفة والتسامح والتعاون على الخير.

وإنما ذكرت الخمر والميسر لأن الآية بصدد بيان تحريمهما، وإلا فإن أدوات الشيطان لإحداث الفتنة ونشر الكراهية والعداوة والبغضاء بين المؤمنين عديدة، وعلى رأسها إثارة العصبية القومية أو الطائفية أو العشائرية أو الحزبية أو القنوية أو الحماس لرمز أو لفريق رياضي وأمثالها.

وقد كان رسول الله (ﷺ) حازماً في وأد هذه الفتنة ومسارعاً إلى إطفائها لأن أي تأخير أو تساهل يؤدي إلى زيادة اشتعالها ما يعسر معه معالجتها، كالذي حصل حين عودة النبي (ﷺ) والمسلمين من إحدى الغزوات وحصل شجار بين بعض أفراد الجيش من المهاجرين والأنصار ونادى كل منهما قومه ونادى زعيم المنافقين «يَا بَنِي الْأَوْسِ وَالْخُزَجِ عَلَيَّكُمْ صَاحِبُكُمْ وَحَلِيفُكُمْ» وكاد القتال أن يقع بينهما، وفيها

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٣١﴾

قال زعيم المنافقين ابن أبي سلول: «وَالله مَا مَثَلْنَا وَمَثَل مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ أَمَا إِنَّهُ وَالله لَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ»^(١) ثم أمر أصحابه بالرحيل فوراً والرجوع إلى المدينة، ونزلت الآية المتضمنة هذا المعنى من سورة (المنافقون).

وقد حذر النبي (ﷺ) أمته في وقت مبكر من سريان هذا الداء إليهم فقال (ﷺ): «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ»^(٢). ولذا نهى النبي (ﷺ) عن مخاصمة الآخرين واستجلاب عداوتهم وإثارة شحنائهم، قال رسول الله (ﷺ): «مَا أَتَانِي جَبْرَيْلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَطُّ إِلَّا وَعَظَنِي فَأَخَّرَ قَوْلَهُ لِي: إِيَّاكَ وَمَشَارَةَ النَّاسِ - أَيِ مُخَاصَمَتِهِمْ - فَإِنَّهَا تَكْشِفُ الْعَوْرَةَ وَتَذْهَبُ بِالْعِزِّ»^(٣)، وفي حديث آخر «فَإِنَّهَا تُظْهِرُ الْعُرَّةَ - أَيِ الْأَمْرِ الْقَبِيحِ الْمَكْرُوهِ - وَتَدْفِنُ الْغُرَّةَ - أَيِ الْحَسَنِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ -»^(٤)، لأن كلاً من الخصمين سيجهد في التفتيش عن عيوب الآخر ونقائصه ولو لم يجد فإنه سيفتري عليه أو يخلط الأمور، وسيكون المؤمن هو المغلوب ظاهراً في هذه المخاصمة

(١) الدر المنثور: ٨ / ١٧٦.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦٧.

(٣) الكافي: ٢ / ٣٠٢.

(٤) أمالي الطوسي: ٤٨٢.

﴿٢٣٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

لأنه يتورع عن الكذب والبهتان والغيبة والتدليس والافتراء ونشر الفاحشة، ويتجنب ما يؤدي إلى إفتتان الناس وضلالهم وابتعادهم عن الدين، ويظهر من بعض الأحاديث الشريفة أن هذا البلاء مكتوب على المؤمن، ففي رسالة الإمام الصادق (عليه السلام) إلى النجاشي أنه قال: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليه السلام)، أنه قال: «أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَصْدَقَ فِي مَقَالَتِهِ وَلَا يَنْتَصِفَ مِنْ عَدُوِّهِ وَعَلَى أَنْ لَا يَشْفِيَ غَيْظَهُ - لو حاول ذلك - إِلَّا بِفَضِيحَةٍ نَفْسِهِ - بما يفتريه الخصم؛ - لَأَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُلْجَمٌ - ومقيد بالورع-، وَذَلِكَ لَغَايَةِ قَصِيرَةٍ وَرَاحَةِ طَوِيلَةٍ - بعد صبره على الأذى-، أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَشْيَاءَ أَيْسَرَهَا عَلَيْهِ مُؤْمِنٌ مِثْلَهُ يَقُولُ بِمَقَالَتِهِ يَبْغِيهِ وَيَحْسُدُهُ»^(١).

وقال (عليه السلام) «مَا نَهَيْتَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مَا نَهَيْتَ عَنْ مَلَا حَاةٍ^(٢) الرِّجَالِ»^(٣)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي حَدِيثٍ: أَلَا إِنَّ فِي التَّبَاغُضِ الْحَالِقَةَ لَا أَعْنِي حَالِقَةَ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ»^(٤).

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢٧٥/٧٥.

(٢) الملاحاة: المنازعة والمخاصمة والمجادلة. ومنه (من لاحاك فقد عاداك).

(٣) تحف العقول: ٤٢.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية): ٣٤٦/٢.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٣٣﴾

وقال النبي (ﷺ): «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ»^(١)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ زَرَعَ الْعُدْوَانَ حَصَدَ الْخُسْرَانَ»^(٢)، وقال (عليه السلام): «مَنْ ضَنَّ - أي شح وحرص - بَعْرُضَهُ فَلْيَدَعْ الْمِرَاءَ»^(٣)، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ، فَإِنَّهَا تَفْسِدُ الْقَلْبَ وَتَوْرِثُ النِّفَاقَ»^(٤).

وورد النهي عن المخاصمة حتى في الأمور الدينية إذا كانت لأجل إظهار الغلبة واستفزاز الآخر وتوهينه الموجب لنفوره، روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «وَلَا تَخَاصِمُوا النَّاسَ لِدِينِكُمْ فَإِنَّ الْمَخَاصِمَةَ مَمْرُضَةٌ لِلْقَلْبِ»^(٥).

وقال العلامة المجلسي (قدس سره) في الشرح: ((أي لا تجادلوا مجادلة يكون غرضكم فيها المغالبة والمعاداة بإلقاء الشبهات الفاسدة، لا ظهور الحق، فإن المخاصمة على هذا الوجه تمرض القلب بالشك والشبهة، والأغراض الباطلة))^(٦).

(١) معاني الأخبار: ١٩٦.

(٢) عيون الحكم و المواعظ (للثبي): ٤٣١.

(٣) نهج البلاغة (للصباحي صالح): ٥٣٨.

(٤) بحار الأنوار (ط - بيروت): ١٨٦٧٥.

(٥) الكافي (ط - الإسلامية): ١٦٦/١.

(٦) بحار الأنوار: ٢٠٩ / ٦٥.

وشبه أمير المؤمنين (عليه السلام) بمثال لطيف كيف أن الرد بالمثل يؤدي إلى استمرار الخصومة وازديادها، قال (عليه السلام): «الْكَلَامُ ذِكْرٌ وَالْجَوَابُ أَثْنٌ فَإِذَا اجْتَمَعَ الزَّوْجَانِ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّتَاجِ»^(١).

وقد يلبس الشيطان على المؤمنين ويخدعهم فيضفي على خصوماتهم غطاءً شرعياً مقدساً كما في الحديث «كَمْ مِنْ ضَلَالَةٍ زُخِرَتْ بِأَيَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»^(٢) وكم من خصومة زخرفت بمبرر ديني، ولهذا تجد أهل الدنيا يتناسون خصوماتهم في الأعياد والمصائب والمخاطر وكأنهم لم يكونوا تخاصموا من قبل، ولكن بعض المحسوبين على الدين يحتفظون بعداواتهم جيلاً بعد جيل بسبب ما أضافوه لخصوماتهم من المبررات المقدسة واتخاذهم دينهم دخلاً بينهم.

وحث المعصومون (عليهم السلام) على بذل الوسع في احتواء الخصوم وامتصاص نقيمتهم وردم الفجوة بينهم وإيضاح الأمور لهم لعل شبهة وقعوا فيها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الاسْتِصْلَاحُ لِلْأَعْدَاءِ بِحَسَنِ الْمَقَالِ وَجَمِيلِ الْأَفْعَالِ أَهْوَنُ مِنْ مَلَأَقَاتِهِمْ وَمَغَالِبَتِهِمْ بِمُضِيِّضِ

(١) الخصال: ٧٣/١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ (لليثي): ٣٨١، وفي المحاسن: ١/ ٢٢٩ ح ١٥٩، وفيه: (كونوا نقاد الكلام فكم من ضلالة زخرفت بأية من كتاب الله).

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٣٥﴾

الْقِتَالِ»^(١)، وَبَيَّنَ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَحْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ»^(٢).

ويقع ضمن هذا الإطار ما صدر من التوجيه للشيعة بأن يتواصلوا مع عامة الناس حتى المخالفين في مناسباتهم ويحضرُوا في مساجدهم كقول الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «عَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالْاجْتِهَادِ، وَأَشْهَدُوا الْجَنَائِزَ وَعُودُوا الْمَرْضَى وَاحْضَرُوا مَعَ قَوْمِكُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَأَحْبُوا لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّونَ لَأَنْفُسِكُمْ أَمَا يَسْتَحْيِي الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَنْ يَعْرِفَ جَارَهُ حَقَّهُ وَلَا يَعْرِفَ حَقَّ جَارِهِ»^(٣)، وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّهُ لَا بَدَّ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَعْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ وَالنَّاسُ لَا بَدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»^(٤)، وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَعْنَى ذَلِكَ: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: لِيَجْتَمَعَ فِي قَلْبِكَ الْاِفْتِقَارُ إِلَى النَّاسِ وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ يَكُونُ اِفْتِقَارُكَ إِلَيْهِمْ فِي لَيْنِ كَلَامِكَ وَحَسَنِ بَشْرِكَ وَكَوْنِ اسْتِغْنَاؤُكَ عَنْهُمْ فِي نَزَاهَةِ عَرْضِكَ وَبَقَاءِ عِزِّكَ»^(٥).

(١) عيون الحكم والمواعظ (للبيهقي): ٥٧.

(٢) نهج البلاغة (للصباحي صالح): ٥٠١.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية): ٦٣٥/٢.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية): ٦٣٥/٢.

(٥) معاني الأخبار: ٢٦٧.

﴿٢٣٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وأوصوا (عليه السلام) بالصبر وتحمل الأذى لتجنب اتساع دائرة
العداوة والبغضاء، وطمأنهم بأن صبرهم بعين الله وأجره، وأن خصمكم
سيدفعه سعيه للغلبة إلى الوقوع في الكبائر كالكذب والبهتان والافتراء،
وهذه الأوزار ستكون كفارة لذنوبكم، فأني نصر أعظم من هذا تريدون،
ومما ورد في ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
مَنْ خَاصَمَ»^(١) وقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «كَفَى بِنَصْرِ اللَّهِ لَكَ
أَنْ تَرَى عَدُوَّكَ يَعْمَلُ بِمَعَاصِي اللَّهِ فِيكَ»^(٢)، ومثله عن الإمام الصادق
(عليه السلام): «حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ اللَّهِ نَصْرُهُ أَنْ يَرَى عَدُوَّهُ يَعْمَلُ بِمَعَاصِي
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

فعلى المؤمن أن تكون له أسوة من ربه - كما ورد في
الحديث^(٤) - ومن الصفات الحسنى (سريع الرضا) فيزول ما في قلبه
من غيظ على أخيه المؤمن بسرعة، وهذا ما أكدته حديث الإمام الصادق
(عليه السلام) قال: «حَقْدُ الْمُؤْمِنِ مَقَامَهُ - أي بمقدار وجوده في الموضع

(١) عيون الحكم والمواعظ (لليثي): ٥٣٩.

(٢) تحف العقول: ٢٧٨.

(٣) الأمالي (للصدوق): ٣٨.

(٤) الحديث الشريف: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ» بحار الأنوار (ط - بيروت): ١٢٩/٥٨.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٣٧﴾

الذي حصلت فيه الحادثة - ثمَّ يَفَارِقُ أَخَاهُ فَلَا يَجِدُ عَلَيْهِ شَيْئاً، وَحَقْدُ الْكَافِرِ دَهْرُهُ^(١).

لكن المؤسف أن أخبار آخر الزمان تؤكد وقوع هذه الفتن، روي عن سمع الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) يقول: «لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَفَلَّ بَعْضُكُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْكَفْرِ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فِي ذَلِكَ الزَّمانِ مِنْ خَيْرٍ؟ فَقَالَ الْحُسَيْنُ (عليه السلام): الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ، يَقُومُ قَائِمَانَا وَيَدْفَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ»^(٢).

وهذا من الأسباب المؤخرة للظهور الميمون لأنه يرى شيعة وقاعدته التي يعول عليها في بناء دولته المباركة وهم يتراشقون بينهم ويسقط بعضهم بعضاً مما يؤدي إلى تحطيمهم جميعاً، فكم يعيش (عليه السلام) من مرارة وألم بسبب ذلك، وإنَّ حزنه يفوق فرح أعدائه المستكبرين بهذا التفرق والضياع والتهيه، ففي رسالة الإمام المهدي (عليه السلام) إلى الشيخ المفيد: «وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَقَهُمُ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ الْيَمْنُ بَلَقَانَا

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢١١/٧٢، عن كتاب ابن قولويه.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٦.

﴿٢٣٨﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وَلْتَعَجَّلْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمَشَاهِدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ
بِنَا»^(١).

إن الله تبارك وتعالى يوقد في آياته الكريمة جذوة الحرص لدى عباده المؤمنين على وحدة الأمة، والاسى^(٢) والأشفاق من تفرقها في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٤) وكأنما يريد الله تعالى أن يقول للمؤمنين هذه الأمة أمتكم ووحدةها وكراماتها أمانة فاتقوا الله فيها، ليشير فيهم الحرص عليها، فحافظوا عليها واحدة، ما دتمتعبدون رباً واحداً تحملكم عبادته على الحفاظ عليها، وفي تمزقكم عبادة غيره.

ولعله لأجل ذلك كانت التوصية للبقاء مع الجماعة مهما حصل فيها من تقصيرات، فروي أن يد الله مع الجماعة ونهي عن الشذوذ

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي): ٤٩٩/٢.

(٢) روى الصدوق في كتاب التوحيد (ص ١٦٨) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: ٥٥) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَأْسِفُ كَأَسَفِنَا وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسِفُونَ وَيَرْضَوْنَ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَدْبُرُونَ فَجَعَلَ رِضَاهُمْ لِنَفْسِهِ رِضًى وَسَخَطَهُمْ لِنَفْسِهِ سَخَطًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاءَ إِلَيْهِ وَالْإِدْلَاءَ عَلَيْهِ فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ».

(٣) الأنبياء: ٩٢.

(٤) المؤمنون: ٥٢.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٣٩﴾

عنها، ليس لأن الجماعة دائماً على الحق، ولكن لأنها تمثل صنعة النبي (ﷺ) وحاضنة دينه، ولكي لا تتمزق هذه الأمة، ويصعب على المصلحين جمعها مرة أخرى ومخاطبتها إذا تقطعت اوصالها وتقاطع أبناؤها فيما بينهم، ووجد المتعصبون من يقنن لهم تلك الخلافات والتقاطعات حتى تصبح تراثاً وجزءاً من هوية المتقاطعين، نظير ما فعله هارون (عليه السلام) حين بقي بين بني إسرائيل ولم ينفصل عنهم وهم في فتنة عبادة العجل، كما اقتصه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ • قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى • قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا • أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ • قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(١).

جامعة المذاهب الإسلامية مشروع ناهض للوحدة الإسلامية وللحد من مخاطر التكفير والتطرف الفكري والديني

استقبل^(١) سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمكتبه في النجف الأشرف رئيس جامعة المذاهب الإسلامية سماحة آية الله الشيخ محمد حسين مختاري (دامت بركاته) وعدد من مساعديه ومستشاريه.

وقدم سماحة الشيخ مختاري عرضاً موجزاً عن اهداف تأسيس الجامعة وطبيعة الدروس ومناهج التدريس فيها وعدد فروعها في داخل الجمهورية الاسلامية وخارجها واعداد الطلبة المسجلين لديها من الشيعة والسنة.

من جانبه أشاد سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بالدور الذي تضطلع به جامعة المذاهب الاسلامية وبالنشاطات التقريبية التي تقوم بها في عدد من الدول.

وذكر سماحته (دام ظله) ان الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية

(١) - الأربعاء ٢٥/شعبان/١٤٤٠، الموافق ٢٠١٩/٥/١ م.

﴿٢٤٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) ويعتمد أسلوب الحوار والحجة والبرهان واحترام الآخر والعدالة بين جميع البشر، والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وسنة المعصومين (عليه السلام)، ومن الشواهد التاريخية ما كانت عليه الأجواء العلمية والاجتماعية السائدة في بغداد باعتبارها عاصمة التقريب والتعايش بين الأديان والمذاهب حتى الملحدين، وبقيت على ذلك إلى أيام الشيخ المفيد والشيخ الطوسي (قدس الله سرهما) وقد تسنما رئاسة كرسي الكلام على جميع المذاهب آنذاك حيث عاش المسلمون جواً تقريبياً وتعايشاً مذهبياً مميزاً قبل حصول الفتنة وانتقال الشيخ الطوسي الى النجف الاشرف، لافتاً الى ضرورة فهم فقه العامة والإحاطة به للوصول الى نقاط التقارب وفهم طريقة الائمة المعصومين (عليه السلام) في معالجة المسائل الخلافية، وهو اسلوب اعتمده سماحة المرجع العنقوبي في بحثه الفقهي الموسوم (فقه الخلاف)، تأسيساً على قواعد المدرسة التي انشأها السيد البروجردي (قدس سره).

وقال سماحته: لقد أكدت في كلماتي السابقة على ضرورة الدخول الى عمق التفكير التكفيري ومعالجة مكانم الخطر فيه.. لأن التكفير والتطرف ليس فعلاً أو حدثاً، وإنما هو ثقافة وفكر مبني على أسس

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٤٣﴾

تدفع الآخر للقيام بأفعال معينة معادية ذات طابع عدائي، فلا بد من معالجة وتفكيك بنيته الفكرية وخلق ثقافة مضادة له، والتنبيه والتعريف بحجم الاخطار المحدقة بالدين الاسلامي والبلاد الاسلامية.

وتابع سماحته: ان التجربة الرائدة لجامعة المذاهب بكل تفاصيلها ومن خلال العلوم والمعارف التي تدرس فيها والتي تسهم في نشر الوعي وتقريب وجهات النظر وتسهم أيضاً في كشف حجم المؤامرة التي تحاك ضد الامة الاسلامية من أجل تفكيكها وتمزيقها وهدر امكانياتها المادية والبشرية لإضعافها والهيمنة عليها.

وأكد سماحته على أهمية تعزيز ثقافة التقارب والتعايش المذهبي ونشر هذه المبادرات والمشاريع المباركة وتنمية وترويج الثقافة المناهضة للتطرف والتكفير خاصة في البلدان التي استهدفتها هذه المؤامرة وطلاتها الاجندات المسمومة.

كما أعرب سماحته عن أمله بأن لا يفهم من إقامة هذه المشاريع على انها ترويج للتشيع - لأن القضية أكبر وأخطر من ذلك بكثير - وانما جرياً على سيرة الائمة (عليه السلام) فقد كانوا حريصين على تبصرة المسلمين وتوعيتهم وتقديم النصح والإرشاد لهم من دون دعوتهم الى الدخول في التشيع او استمالتهم الى مذهبهم مما يؤدي الى استفزاز الآخر لاتخاذ اجراءات معادية لا سمح الله، وهم (عليه السلام) يعلمون ان

﴿٢٤٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الحق لو وصل الى الناس بشكل واضح فانهم سيتبعونه بأذن الله تعالى
كما قال (عليه السلام): «فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا»^(١).

هذا وأثنى سماحة آية الله مختاري على موسوعة (فقه الخلاف)
وهي تقارير لدروس البحث الخارج التي يلقيها سماحة الشيخ (دام
ظله) منذ ١٢ عام والتي توصل فيها سماحة الشيخ (دام ظله) الى نتائج
فقهية من شأنها ان تعالج بعض منعطفات الخلاف مع العامة وتحلحل
بعض العقد.

في نهاية اللقاء تشكر الوفد الضيف على حفاوة الاستقبال وأعرب
سماحة الشيخ مختاري (دامت بركاته) عن رغبته بإدامة التواصل بين
الحواضر العلمية والعلماء الأعلام من أجل النهوض بمستوى الامة
الاسلامية ودفع الاخطار عنها لتكون بمستوى مواجهة التحديات التي
تواجهها بأذن الله تعالى

هذا ويذكر ان سماحة المرجع (دام ظله) كان قد ذكر في أحد
خطاباته^(٢) على المشروع الناهض لجامعة المذاهب الإسلامية ودعا
للاستفادة منه واستثماره.

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٣٠٧/١.

(٢) خطاب المرحلة (٥٧٠) جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب / خطاب

المرحلة ح ١١ / ص ١٩٨.

المشاريع الشيطانية التي أعدت

لتمزيق الامة الإسلامية والعربية^(١)

يوماً بعد يوم تنكشف وتتضح الخطة الشيطانية التي أعدت للمنطقة الإسلامية والعربية ضمن مشروع شرق الأوسط الكبير، والتي تستهدف تمزيق وحدتها ونسيجها الاجتماعي وتفتت دولها إلى دويلات وأقاليم ضعيفة ويبقى فقط الكيان الصهيوني^(٢) القوة المهيمنة في المنطقة لاستمرار السيطرة عليها بعد ان احترقت ورقة تركيع الشعوب والتحكم بثوراتها من خلال أنظمة ديكتاتورية تعتمد سياسة البطش والقسوة والتسلط بالحديد والنار.

وقد استخدموا لتنفيذ هذه الخطة وسائل عديدة على رأسها القوة العسكرية وأموال دول البترودولار والالتفاف على حركة الشعوب ومصادرة ثوراته التي سميت بالربيع العربي حتى أخضعوها لإرادتهم

(١) البيان الذي وجهه سماحة المرجع البعقوبي (دام ظلّه) يوم ٢٣/٢/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٥/٤ من خلال عدد كبير من الفضائيات إلى شعوب المنطقة بعد لقائه بعدد من القيادات الدينية والسياسية في عدة دول.

(٢) قامت طائرات الكيان الصهيوني مساء نفس اليوم الذي أُعدّ فيه البيان بغارة جوية على معسكرات ومخازن سلاح قرب دمشق بقتال فراغية أحدثت زلزالاً في العاصمة.

وبدأوا يتحكّمون بها من خلال الأنظمة العميلة في المنطقة.
ومن أقذر الوسائل وأخبثها وأخطرها إشعال الحرب الطائفية وإثارة
الفتن بين المسلمين وتغذية التعصّب واستفزاز المشاعر والعواطف
الدينية بالأفعال الدنيئة التي لا يقوم بها حتى أشد الوحوش ضراوة
وبطشاً، وكان آخرها نبش قبر الصحابي الجليل الشهيد حُجر بن عدي
الكندي في ريف دمشق يوم الخميس (٢٠١٣/٥/٢) ومحاولة نقل رفاته
إلى جهة مجهولة، لكنهم لم يفلحوا حتى أدركهم الموالون.
إنّ المواقف الضعيفة المنهزمة التي تتّخذها القيادات الدينية
والسياسية لا قيمة لها وهي لوحدها لا تقيم حقاً ولا تزهد باطلاً، بل
لابد من تحرّك المراجع الدينية والسياسية العليا للتأثير على منظمة
المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي حتى تضغط على
الدول الراعية والساندة لتلك الجماعات الضالة المفسدة والتي تتحكم
في حركتها حتّى تلزمها بمعايير النبل والقيم الإنسانية، وإذا أرادت
القتال فلتقاتل بشرف وشهامة.

ولابد من فضح هذه الجرائم وتعريف الدول الغربية التي تدعمهم
إعلامياً وسياسياً ومالياً وتنوي تسليحهم بأنهم يتعاملون مع من لا يعرف
للموتى حرمة ونبش القبور فكيف يحفظ حقوق الأحياء ويحترم
تنوعهم، كيف يطمئنون إلى مستقبل العلاقة مع مثل هذه العصابات؟

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٤٧﴾

ومن الذي يضبط حركة هذه القنابل الموقوتة التي ليس لها كايح ولا ناظم ولا بوصلة أمينة، وإذا اعتقدت تلك الدول الغربية إنَّ دعم هؤلاء يصبُّ في مصالحها، فإنَّ ذلك وهم وعمره قصير حتَّى ينقلب السحر على الساحر، ولا يعرفون حينئذٍ كيف الخلاص، فلتراجع هذه الدول سياستها الداعمة لهؤلاء قبل أن تتورط في المزيد.

إنَّ هذه الأحداث المؤلمة والمقلقة لا يصح أن نتعامل معها كمفردات جزئية غير مترابطة، بل علينا أن نضع كلاً منها في مكانها من منظومة المشاريع الإستراتيجية والخطط التكتيكية، وهذا ما يجب أن تنتبه إليه شعوب المنطقة وخصوصاً الشعب العراقي الممتحن الصابر الذي يراد له أن يكون وقود هذه الخطة الشيطانية، منذ حلَّ الاحتلال الغاشم أرضه عام ٢٠٠٣ مروراً بتفجير الروضة العسكرية عام ٢٠٠٦ والحرب الطائفية الشرسة التي تلتها، والصراعات السياسية على السلطة والمغانم التي تلبس ثوب الطائفتين زوراً وبهتاناً حتَّى الأحداث التي شهدتها محافظاتنا الحبيبة خلال الأشهر الماضية.

على شعوبنا:

- ١- أن تكون واعية وتحلّي بالصبر وضبط النفس وأن تتعد عن الانفعالات والاستفزازات وردود الفعل العاطفية.
- ٢- وأن تراجع في كل أفعالها إلى القيادات الحكيمة الرشيدة

العارفة بملايسات الزمان والمكان.

٣- وعليها أيضاً أن تتمسك بالروح الوطنية التي تؤلف بين أبناء الوطن الواحد وتتجنب التعصب بكل اتجاهاته، وترفض مشاريع التقسيم والتجزئة والدويلات الضعيفة المتناحرة.

٤- وأن تعتمد الحوار لتحقيق حقوقها، وعلى الحكومات أن تحترم شعوبها وتعمل بصدق وإخلاص لإسعاد شعوبها وتعاملهم جميعاً على أساس واحد وهي المواطنة وأن تصغي بصدق وشفافية للمطالب المشروعة لشعوبها.

٥- وبنفس الوقت عليها أن تكون مستعدة لكل الاحتمالات، لأنّ أغلب اللاعبين على الساحة ليسوا من العقلاء فيحتمل منهم كلّ شيء. أجارنا الله تعالى وإياكم من مظلات الفتن ومن شرّ شياطين الجنّ والإنس وأعاد كيدهم إلى نحورهم.

الباب السابع

الوحدة وبناء الأمة والمشروع الحضاري

الباب السابع

الوحدة وبناء الأمة والمشروع الحضاري

لا تنتهي غاية الوحدة الإسلامية عند وقف النزاعات أو تخفيف الاحتقان؛ فالغاية الأبعد في فكر المرجع اليعقوبي هي إعادة الأمة إلى موقع الفعل والقدرة على البناء. فالمجتمع الذي يستنزف طاقاته في صراعاته الداخلية يعجز عن النهوض بمسؤولياته العلمية والاقتصادية والسياسية والرسالية، أما المجتمع المتماسك فيستطيع توجيه تنوعه وطاقاته نحو أهداف مشتركة. ولهذا ربط سماحته بين وحدة المجتمع وقوة الدولة، وبين التآخي واستعادة الدور الحضاري للأمة، ورأى أن قيام المشروع الرسالي يحتاج إلى مجتمع موحد لا تستهلكه مشاكله الداخلية. كما دعا في خطواته العملية إلى تنقية الأجواء السياسية بين الدول الإسلامية وفتح باب الاجتهاد للعلماء المؤهلين، بما يجعل الوحدة مشروعاً يتصل بإصلاح الفكر والعلاقات والمؤسسات معاً. وبهذا يختم الكتاب مساره بالانتقال من منع الفرقة إلى صناعة القوة الحضارية للأمة.

﴿٢٥٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

وفي ختام هذا المسار، تكشف الكلمات الآتية أن الوحدة في فكر سماحته ليست غايةً سلبية تقف عند منع النزاع، بل شرطاً لبناء الأمة واستعادة قوتها وفعاليتها ودورها الحضاري:

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شِئْءٍ وَفُرَادَى ثُمَّ

تَتَفَكَّرُوا﴾

• «تنقية الأجواء السياسية عامل مهم لتحقيق الوحدة بين

المسلمين»

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾^(١)

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَاخٍ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾^(٢)

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله (ﷺ) لجميع الناس وأبلغهم رسالة من الله تعالى واستعمال ﴿قُلْ﴾ للتأكيد على كون متعلقها مما أمر النبي (ﷺ) بتبليغه للناس، وإن كان كل القرآن هكذا، ﴿لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٣) إلا ان استعمال ﴿قُلْ﴾ يعني الاهتمام بالقضية الملقة وإيصالها إلى الناس.

ولإعطاء هذه القضية زخماً من التأثير الواسع في المجتمع فقد أمر (ﷺ) أن يبلغ هذه الرسالة على نحو الموعظة ﴿أَعْظُمُ﴾ ولا يكتفي بمجرد إبلاغها لهم على أي نحو كان، والوعظ (هو التذكير

(١) كلمة وجهها سماحة المرجع العنقوبى من خلال قناة النعيم الفضائية يوم الجمعة ٢٨- شعبان-١٤٣٥ المصادف ٢٧-٦-٢٠١٤ للتذكير بالمعالجة الاخلاقية للمحنة التي تمر بها البلاد بعد المعالجتين العسكرية والسياسية التي قدّمها سماحته في خطاب المرحلة (٤١٠) : (رب ضارة نافعة)، وخطاب المرحلة (٤١١) (لا بدّل عن الحوار).

(٢) سبأ: ٤٦.

(٣) النحل: ٤٤.

﴿٢٥٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

بالخير فيما يرقُّ له القلب) كما في المفردات عن الخليل، فالمراد اختيار الطريقة الرقيقة الشفيقة الرحيمة التي تتجاوز الاذن وتدخل القلب وتدفعه إلى التسليم بها لتحقيق الخير والصلاح لكم.

وللتأكيد على أهمية هذه القضية وتركيز النظر عليها فقد استعمل اسلوبان للدلالة على انحصار تحقق الغرض بهذه الوسيلة، أحدهما اداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ وتأكيدها بكلمة ﴿وَاحِدَةً﴾ أي لا ثانية لها فلا يوجد امامكم الا طريقة واحدة إن أخذتم بها تحققت الغاية ووصلتم إلى الهدف واستقمتم على الطريق الصحيح.

والقضية بسيطة منسجمة مع الطبيعة البشرية ومع الفطرة، لكنها واسعة بسعة حاجات الانسان وطموحاته ومشاكله حاصلها: أيها الناس إنكم في كل حقيقة تريدون البحث عنها وفي كل موقف تريدون اتخاذه، وكل مشروع تودون الاقدام عليه، وفي كل محنة تنزل بكم وكل مشكلة تعجزون عن حلها وكل كارثة تحيط بكم وكل قضية تقلقكم لا حلَّ لكم ولا علاج إلا بواحدة، وذلك بأن ﴿تَقُومُوا﴾ وتنهضوا وتهيئوا وتستيقظوا وتكونوا على أهبة الاستعداد لأي شيء للرجوع إلى ربكم والتسليم لأمره، والالتزام الكامل بما يريد الله تعالى منكم، وتكسروا اغلال الهوى والتعصب والجهل والميول.

لأن الفرد والأمة إن لم يأخذوا بهذه الوسيلة ورضوا بأن يكونوا في

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٥٥﴾

غفلة وفي سبات وفي جهل وعمى فإنهم يتخبطون ويقعون بأيدي
اللصوص وقطاع الطرق من شياطين الإنس والجن.

وان يكون قيامكم ونهضتكم خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى وليس اتباعاً
لأهواء أو ميول أو عواطف أو تعصبات وتحزبات أو لنيل مغامر دنيوية
أو تحت مؤثرات من صنع البشر.

والمطلوب من هذه النهضة إعمال الفكر ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في القضية
المقصودة وسيلهمكم الله تعالى الحل ويدلكم على الفعل المناسب
وييسر لكم اسبابه ومقدماته، وفي الآية دلالة على أهمية الفكر والتفكير
العقلاني المتحرر من اغلال التعصب والهوى فإن مثل هذا الفكر الحر
هو حجر الأساس في بناء الهداية والكمال ومفتاح الوصول إليهما،
ولإنجاز كل مشروع اجتماعي أو علمي أو سياسي أو اقتصادي ونحو
ذلك.

وهذا التفكير يكون مقدمة لمعرفة ما يتطلبه الأمر الإلهي في تلك
القضية والتسليم التام لما يريد الله تعالى منك فتأتمر بأمره وتنتهي
بنهيه، وقد اطلقت الآية التفكير فلم تقيده بماذا لكي تجعل هذه القاعدة
عامة لكل قضية ولكل مسألة ابتداءً من القضية المحورية الكبرى وهي
التوحيد والإيمان بالله تعالى والمعاد يوم القيامة ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ

﴿٢٥٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴿١﴾ عندما يخاطبُ المشركون والكافرون بهذه الآية، إلى قضية النبوة والرسالة للمنكرين لها ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾﴿٢﴾ إلى قضية الإمامة والولاية للجاحدين بها إلى سائر القضايا الحياتية الأخرى الصغيرة والكبيرة.

وليكن قيامكم ونهضتكم ﴿فَرَادَى﴾ أي مع أنفسكم لكي تخلوا بربكم وتفتحوا عليه ويكون ادعى للتأمل والتفكير، واتخذوا أيضاً شخصا اخر ﴿مَثْنَى﴾ أي اثنين اثنين ليكون رفيقا لكم وناصحا ومرآة (المؤمن مرآة المؤمن) فيعينك على التعرف على اخطائك وعيوبك وتستشيريه فيما ينبغي فعله ويعينك على الخير، وتجنبوا الانسياق وراء العامة وكثرة الناس مما يعرف بالسلوك الجمعي وقيل فيه (حشر مع الناس عيد) فان هذا الانسياق مذموم ويوردك مواطن الهلكة والبوار لأنه انفعالي عاطفي يسيره اهل المكر والخديعة والباطل ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾﴿٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ

(١) سبأ:٤٦.

(٢) سبأ:٤٦.

(٣) الأنعام:١١٦.

بِمُؤْمِنِينَ﴿١﴾ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾﴿٢﴾.

وهذه العناصر الثلاثة التي تفهم من الآية كفيلة بصنع البيئة المناسبة للتكامل والتي تأخذ بيد الانسان نحو الكمال وقد جمعها الامام الجواد عليه السلام بقوله: «الْمُؤْمِنُ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ وَقَبُولٍ مِمَّنْ يَنْصَحُهُ»^(٣)، فالواعظ من نفسه ثمرة القيام فرادى والقبول ممن ينصحه ثمرة القيام مثني والتوفيق من الله ثمرة القيام لله.

وهذه القاعدة التي يقدمها الله تعالى هدية لنا من خلال كتابه الكريم هي البداية الصحيحة لكل مشروع، وتقييم من خلالها كل حركة او دعوة، وتواجه بها كل مشكلة، اما اتخاذ المواقف الارتجالية والانفعالية العاطفية فهو فعل غير منتج.

فلنغتني هذه الهدية الالهية المباركة في كل حياتنا خصوصا في وقت الازمات والمحن كالتي تمر بها البلاد اليوم حيث يعيش فيها الارهاب الاعمى فسادا وقتلا وتشريدا واجراما، فقبل ان نلهث وراء هذا وذاك ونستجدي منه النصرة والعون وهو يزيدنا اذلالا واهانة، علينا ان نتنفذ على انفسنا واهوائنا لان الاغلب غفلوا عن الله تعالى ونسوه

(١) يوسف: ١٠٣.

(٢) يوسف: ١٠٦.

(٣) تحف العقول: ٤٥٧.

تبارك وتعالى فأنساهم الله أنفسهم وتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل صاروا عقبة كؤود في طريق المصلحين والأمين بالمعروف والنهي عن المنكر وكثير منهم ممن يرجى ان يكون عوناً على طاعة الله تعالى ولذا تحققت النتيجة التي حذر منها المعصومون (عليه السلام) كقول الامام الرضا (عليه السلام): «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شَرَارَكُمْ فَيَدْعُوْ خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ»^(١)، فهذا هو سبب تسلط الأشرار الارهابيين والمجرمين.

فلا وسيلة لنا ولا حل ينجيننا الا بواحدة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بَوَاحِدَةٍ﴾ وهي ان نهض لله وفي سبيل الله ونرجع إلى الله تبارك وتعالى، وندعوه ونتوسل بأقرب الوسائل إليه تعالى: حبيب محمد المصطفى وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ونستغيث بصاحب العصر والزمان (عليه السلام) ليشملنا بلطفه ورعايته وسيلهمنا الله تعالى الحلول الصحيحة ويعيننا على تنفيذها والعمل بها، خصوصاً ونحن نستقبل شهر الله الكريم شهر المغفرة والرحمة والفوز بالجنة والنجاة من النار. روى السيد ابن طاووس بالإسناد عن اليسع بن حمزة القمي^(٢) قال:

(١) وسائل الشيعة: ١١٨/١٦.

(٢) لعل الصحيح أحمد بن حمزة بن اليسع الذي وُصف بأنه (ثقة ثقة) لأنه من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) أما اليسع بن حمزة فذكر في أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) وهو مجهول.

«أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ وَزِيرُ الْمُعْتَصِمِ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ جَاءَ عَلِيٌّ بِالْمَكْرُوهِ الْفَطِيعِ حَتَّى تَخَوَّفْتَهُ عَلَى إِرَاقَةِ دَمِي وَفَقَرِ عَقْبِي، فَكَتَبْتُ إِلَى سَيِّدِي أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - أَيِ الْإِمَامِ الْهَادِي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - أَشْكُو إِلَيْهِ مَا حَلَّ بِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ: لَا رَوْعَ عَلَيْكَ وَلَا بَأْسَ، فَادْعُ^(١) اللَّهَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ يَخْلُصُكَ اللَّهُ وَشَيْكَاً مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ وَيَجْعَلُ لَكَ فَرْجاً فَإِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ص يَدْعُونَ بِهَا عِنْدَ إِشْرَافِ الْبَلَاءِ وَظُهُورِ الْأَعْدَاءِ وَعِنْدَ تَخَوُّفِ الْفَقْرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ.

قَالَ الْيَسَعَ بْنُ حَمْزَةَ: فَدَعَوْتُ اللَّهَ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي كَتَبَ إِلَيَّ سَيِّدِي بِهَا فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَوَاللَّهِ مَا مَضَى شَطْرُهُ حَتَّى جَاءَنِي رَسُولُ عَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ لِي: أَجِبِ الْوَزِيرَ، فَتَهَضُّتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَصَرَ بِي تَبَسَّمَ إِلَيَّ وَأَمَرَ بِالْحَدِيدِ فَفَكَّ عَنِّي وَالْأَغْلَالَ فَحَلَّتْ مِنِّي وَأَمَرَنِي بِخَلْعَةٍ مِنْ فَاخِرِ ثِيَابِهِ وَأَتَحَفَّنِي بِطِيبٍ ثُمَّ أَذْنَانِي وَقَرَّبَنِي وَجَعَلَ يَحْدِثُنِي وَيَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَرَدَّ عَلَيَّ جَمِيعَ مَا كَانَ اسْتَخْرَجَهُ مِنِّي وَأَحْسَنَ رِفْدِي^(٢).
وَكَانَ الدُّعَاءُ: «يَا مَنْ تَحَلَّى بِهِ عَقْدُ الْمَكَارِهِ»^(٣).

فهذا الدعاء وأدعية الفرج الأخرى نستمطر رحمة الله تعالى

(١) لاحظ تعبير الامام (عليه السلام) «فادع» اي اطلب بصدق ووقر حقيقة الدعاء في باطنك ووجدانك ولم يقل (عليه السلام): (فاقرأ) اي مجرد تحريك اللسان بكلمات.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت): ٢٢٤/٥٠.

(٣) الصحيفة السجادية: ٥٢.

﴿٢٦٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

ومغفرته وأن يرفع عنا البلايا والفتن، ولنجعل هذه العودة إلى الله تعالى والانتباه من الغفلة واحدة من منافع المرور بهذا البلاء الشديد والتعرض لهذه الصدمة ليكون بلاء خير لنا وليس جزاءً لسوء أفعالنا، تصديقاً لعنوان البيان الذي أصدرناه تعليقاً على هذه الأحداث (ربّ ضارة نافعة)، ولا تخفى المنافع الأخرى التي تحققت حيث:

١- أعادت تذكير الناس بإمام زمانهم الذي غفلوا عنه وما غفل عنهم بدعائه وعنايته واستشعروا الحاجة لظهوره وتولّيه بنفسه الشريفة قيادة البشرية نحو الهدى والصالح والقضاء على الباطل والانحراف والجاهلية.

٢- التفّ الناس حول مرجعيتهم الدينية واستجابوا لنداءاتها حتى التطوع للقتال وملأوا معسكرات التدريب وألقوا الحجّة عليها لتنهض بمسؤوليتها وأفشلوا خطط من حاولوا إضعاف المرجعية الدينية وفصل القواعد عنها.

٣- انبعثت الروح الوطنية بعد أن ضاعت في هوس الانتماءات القومية والطائفية والأيديولوجية وتفرّق الشعب أيدي سباً.

٤- صحا المسؤولون السياسيون والعسكريون من سكر المغنم التي انهمكوا في جمعها وحيازتها من مواقعهم بغير حق.

٥- نسي الكثير خلافاتهم واتحدوا على هدف واحد وهو دفع هذا

الخطر الخبيث.

وغيرها من النتائج التي ينبغي للعقلاء الالتفات إليها من دون الحاجة إلى تعريضهم لهذا البلاء الشديد كما ورد في الدعاء «اللَّهُمَّ لَا تُؤَدِّبْنِي بِعَقُوبَتِكَ وَلَا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ».

تنقية الأجواء السياسية

عامل مهم لتحقيق الوحدة بين المسلمين^(١)

أكّد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) على ضرورة بذل الوسع لتحقيق وحدة المسلمين وإزالة الخلافات فيما بينهم فإنّها من أسمى المطالب التي نادى بها القرآن الكريم والسنة الشريفة، وذكر سماحته خطوتين مهمتين تفعّلان حركة التقريب والوحدة بين المسلمين وهما:

١. تنقية الأجواء^(٢) السياسية والعلاقات بين الدول الإسلامية في المنطقة خصوصاً التي لها تأثير خارج حدودها.

(١) من لقاء سماحة المرجع اليعقوبي دام ظلّه مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الشيخ حميد شهريري (أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) في النجف الاشرف بتاريخ الأربعاء ٢٤ شعبان ١٤٤٢/ الموافق ٢٠٢١/٤/٧.

(٢) كان حديث سماحته هذا قبل حصول اجتماع سري جرى يوم ٢٠٢١/٤/٩ بين مسؤولين امنيين كبار من إيران والسعودية في بغداد لتطبيع العلاقات بينهما ثم تلتها تصريحات إيجابية من مسؤولي الدولتين.

٢. فتح باب الاجتهاد للعلماء المؤهلين لممارسة عملية الاستنباط من أهل السنة أسوة بإخوانهم الشيعة.

وفصل سماحته خلال لقائه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الشيخ حميد شهرياري (أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) الكلام في النقطة الأولى قائلاً: إنّ الاحتقان الطائفي والاختلاف المذهبي توجع ناره غالباً الصراعات السياسية التي تتمرس خلف الطائفية لتمرير مخططاتها وتحقيق أهدافها فيخدعون الناس بالشعارات المذهبية. وان الخلاف الذي شق المسلمين في أول يوم بعد وفاة رسول الله (ﷺ) كان سياسياً للاستحواذ على السلطة وإلا فإن قريشاً لم يكونوا يشككون في أهلية أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمامة الدينية من حيث العلم والتقوى والجهاد والسابقة إلى الدين والصدق في المواطن والقرب من رسول الله (ﷺ)، وكانوا يؤكدون ذلك بأقوالهم وأفعالهم، إلا أنهم كانوا يريدون السلطة والحكم والزعامة الدنيوية، وصرحوا بذلك حينما قالوا بأن قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم، فلم يمانعوا من بقاء وراثته العلم والدين لدى بني هاشم وإنما أرادوا انتزاع السلطة منهم .

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٦٥﴾

وهكذا لو حللنا الصراعات التي تمزق المسلمين اليوم وتهدر طاقتهم وإمكانياتهم لوجدناها سياسية لا دخل للعقيدة فيها وإن حاولوا إلباسها هذا الثوب ، فعلى السلطات الحاكمة في بلاد المسلمين ان تتنازل عن بعض أطماعها ونزواتها وتقلل الفجوة بينها وتخفف حدة الشحن الإعلامي و يساهم ذلك كثيراً في إزالة الاحتقان الطائفي فننعم المنطقة الإسلامية بالحيوية والأمان والهدوء كالذي شهدته في فترة التسعينيات وكان من ثمراته وقوف المسلمين جميعاً سنة وشيعة خلف مقاومة حزب الله حتى تحرير الأراضي اللبنانية عام ٢٠٠٠ ، وبذلك تتمكن هذه الدول من التفرغ للتنمية والاعمار وتفجير الطاقات في مختلف المجالات .

أما النقطة الثانية فقد جدّد فيها سماحة المرجع (دام ظله) دعوته لارتقاء مناهج الدراسة والبحث في الحوزات العلمية لأهل السنة حتى نحصل على مجتهدين أكفاء، لحصر مرجعية الفتوى لدى أهل السنة بالعلماء المجتهدين الورعين الذين يجعلون رضا الله تعالى وصلاح الانسان وكرامته الهدف الأسمى، ويستنبطون أحكام الشريعة من النصوص

﴿٢٦٦﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

الدينية الصحيحة الواضحة من دون تقيّد بمذهب معين، وبذلك نغلق الباب أمام فتاوى الضلال والانحراف والتخلف والجهل والتعصب^(١).

وإننا نجد من أهل السنة في بلدان المسلمين ممن يمتلكون القدرة على استنباط الاحكام ويمكن أن تؤسس الخطوة الأولى بقيام مراجع الشيعة بإجازة الاجتهاد لمن يستحقها من علماء أهل السنة لفتح الطريق أمامهم لإجازة الأجيال اللاحقة.

وبارك سماحة المرجع المشروع الذي طرحه الضيف الكريم بعنوان (الجامعة الإسلامية) على غرار الاتحاد الأوربي والسوق المشتركة وقال سماحته: اننا أولى بهذه المشاريع الوحدية لأن أسس اجتماعنا حقيقية مبنية على طاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ) وليس فقط المصالح المشتركة.

(١) رفض شيخ الازهر احمد الطيب في بعض أحاديثه الرمضانية هذا العام ١٤٤٢ في الحلقتين ١٨، ١٩ تقديس التراث الديني ومساواته بالشرعية وان ذلك يؤدي الى جمود الفقه الإسلامي المعاصر نتيجة تمسك البعض بالتقيد الحرفي بما ورد من فتاوى او احكام فقهية قديمة كانت تمثل تجديداً ومواكبة لقضاياها في عصرها وحذر من وجود ما سماه بالفتاوى العتيقة ومن الترويج للفتاوى الماجنة.

المصادر

قائمة المصادر

- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: المفيد ؛ محمد بن محمد ؛ ت : ٤١٣ هـ ؛ تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) ؛ الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٣ هـ.
- إقبال الأعمال (ط - قديمة): ابن طاووس ؛ علي بن موسى ؛ ت : ٦٦٤ هـ ؛ الناشر: دار الكتب الإسلامية ؛ طهران ؛ الطبعة: الثانية ؛ ١٤٠٩ هـ.
- الأمالي (للصدوق) ؛ ابن بابويه، محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ طهران ؛ الطبعة: السادسة ؛ ١٤١٨ هـ .
- الامالي (للطوسي): الطوسي ؛ محمد بن الحسن ؛ ت : ٤٦٠ هـ ؛ الناشر: دار الثقافة ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٤ هـ.
- الامالي (للمفيد): المفيد ؛ محمد بن محمد ؛ ت : ٤١٣ هـ ؛ تحقيق : أستاذ ولي، حسين وغفاري علي أكبر ؛ الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٣ هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ط - بيروت): المجلسي ؛ محمد باقر بن محمد تقي ؛ ت : ١١١٠ هـ ؛ تحقيق : جمع

﴿٢٧٠﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

من المحققين ؛ الناشر: دار الكتب الإسلامية ؛ بيروت ؛ الطبعة: الثانية ؛ ١٤٠٣ هـ.

• تحف العقول عن آل الرسول (ﷺ): ابن شعبة الحراني ؛ الحسن بن علي ؛ ت : القرن ٤ ؛ تحقيق : غفاري، علي أكبر ؛ الناشر: جماعة المدرسين ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الثانية ؛ ١٤٠٤ هـ.

• تفسير من نور القرآن اليعقوبي ، محمد بن موسى ، من نور القرآن ، دار الصادقين ، النجف الاشرف ، ٢٠٢٤.

• التمهيد: ابن همام الإسكافي ؛ محمد بن همام بن سهيل ؛ ت : ٣٣٦ هـ ؛ تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (ﷺ) ؛ الناشر: مدرسة الإمام المهدي (ﷺ) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٤ هـ.

• التوحيد (للصدوق) : ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ تحقيق : الحسيني، هاشم ؛ الناشر: جماعة المدرسين ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة : الأولى ؛ ١٣٩٨ هـ.

• جامع الأخبار (للشعيري): الشعيري ؛ محمد بن محمد ؛ ت : القرن ٦ ؛ الناشر: المطبعة الحيدرية ؛ النجف الاشرف ؛ الطبعة: الأولى.

• الجعفریات (الأشعثيات): ابن الأشعث ؛ محمد بن محمد ؛ ت : القرن ٤ ؛ الناشر: مكتبة النينوى الحديثة ؛ طهران ؛ الطبعة: الأولى.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٧١﴾

• الخصال: ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ تحقيق :
غفاري، علي أكبر ؛ الناشر: جماعة المدرسين ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة:
الأولى ؛ ١٤٠٣ هـ.

• جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» ؛ جلال الدين
السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ؛ مجموعة محققين ؛ الناشر: الأزهر
الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية ؛ الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ
- ٢٠٠٥ م

• دعائم الإسلام و ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام: ابن
حيون ؛ نعمان بن محمد المغربي ؛ ت : ٣٦٣ هـ ؛ تحقيق : الفيضي،
آصف ؛ الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الثانية
؛ ١٤٢٧ هـ.

• الدعوات (للاخواني) / سلوة الحزين: قطب الدين الراوندي ؛
سعيد بن هبة الله ؛ ت : ٥٧٣ هـ ؛ الناشر: منشورات مدرسة الإمام
المهدي (عليه السلام) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٧ هـ.

• الزهد: مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما ؛ العريضي ؛ علي
بن جعفر ؛ ت : ٢٢٠ هـ ؛ تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء
التراث ؛ الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى
؛ ١٤٠٩ هـ.

﴿٢٧٢﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

• شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ابن أبي الحديد ؛ عبد الحميد بن هبة الله ؛ ت : ٦٥٦ هـ ؛ تحقيق : إبراهيم، محمد أبو الفضل ؛ الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٤ هـ.

• صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام): علي بن موسى، الإمام الثامن (عليه السلام) ؛ ت : ٢٠٣ هـ ؛ تحقيق : نجف، محمد مهدي ؛ الناشر: مؤتمر الإمام الرضا (عليه السلام) العالمي ؛ مشهد ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٦ هـ.

• الصحيفة السجادية ؛ الامام زين العابدين (عليه السلام) ؛ تقديم السيد محمد باقر الصدر ؛ الناشر : دار القارئ - لبنان ؛ الطبعة : الأولى ؛ ٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ.

• عدة الداعي ونجاح الساعي: ابن فهد الحلبي ؛ أحمد بن محمد ؛ ت : ٨٤١ هـ ؛ تحقيق : موحدي القمي، أحمد ؛ الناشر: دار الكتب الإسلامي ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٧ هـ.

• علل الشرائع: ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ الناشر: مكتبة داوري ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٢٧ هـ.

• عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ تحقيق : اللاجوردي، مهدي ؛ الناشر: نشر جهان ؛ طهران ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٢٠ هـ.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٧٣﴾

• غرر الحكم ودرر الكلم (مجموعة من كلمات وحكم الإمام علي عليه السلام): التميمي الأمدي ؛ عبد الواحد بن محمد ؛ ت : ٥٥٠ هـ ؛ تحقيق : رجائي، السيد مهدي ؛ الناشر: دار الكتاب الإسلامي ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الثانية ؛ ١٤١٠ هـ.

• الغيبة (للطوسي) / كتاب الغيبة للحجة: الطوسي ؛ محمد بن الحسن ؛ ت : ٤٦٠ هـ ؛ تحقيق : الطهراني، عباد الله وناصح، علي أحمد ؛ الناشر: دار المعارف الإسلامية ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١١ هـ.

• قرب الإسناد (ط - حديثه): الحميري ؛ عبد الله بن جعفر ؛ ت : النصف الثاني من القرن ؛ تحقيق : مؤسسة آل البيت عليه السلام ؛ الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٣ هـ.

• الكافي (ط - الإسلامية): الكليني ؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق ؛ ت : ٣٢٩ هـ ؛ تحقيق : غفاري، علي أكبر وآخوندي، محمد ؛ الناشر: دار الكتب الإسلامية ؛ طهران ؛ الطبعة: الرابعة ؛ ١٤٠٧ هـ.

• كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ؛ علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ؛ صححه: الشيخ صفوة السقا ؛ الناشر: مؤسسة الرسالة ؛ الطبعة: الخامسة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

﴿٢٧٤﴾.....وَأَعْتَصِمُوا

• كنز الفوائد: الكراجكي ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٤٤٩ هـ ؛ تحقيق : نعمة، عبد الله ؛ الناشر: دار الذخائر ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٠ هـ.

• مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: الطوسي ؛ محمد بن الحسن ؛ ت : ٤٦٠ هـ ؛ الناشر: مؤسسة فقه الشيعة ؛ بيروت ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١١ هـ.

• مصباح الزائر ؛ جمال العارفين رضى الدين ؛ السيد علي بن موسى بن طاووس ؛ المتوفى سنة ٦٦٤ هـ ؛ تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

• معاني الاخبار: ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ تحقيق : غفاري، علي أكبر ؛ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٣ هـ.

• المقنعة: المفيد ؛ محمد بن محمد ؛ ت : ٤١٣ هـ ؛ الناشر: مؤتمر ألفية الشيخ المفيد ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤١٣ هـ.

• مكارم الأخلاق: الطبرسي ؛ الحسن بن الفضل ؛ ت : القرن ٦ ؛ الناشر: الشريف الرضي ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الرابعة ؛ ١٤١٢ هـ.

وَأَعْتَصِمُوا.....﴿٢٧٥﴾

- من لا يحضره الفقيه: ابن بابويه ؛ محمد بن علي ؛ ت : ٣٨١ هـ ؛ تحقيق : غفاري، علي أكبر ؛ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الثانية ؛ ١٤١٣ هـ.
- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: الحلواني ؛ حسين بن محمد بن حسن بن نصر ؛ ت : القرن ٥ ؛ تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ؛ مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٨ هـ.
- نهج البلاغة ؛ الشريف الرضي ؛ محمد بن الحسين ؛ ت ٤٠٦ هـ ؛ تحقيق : هاشم الميلاني ؛ الناشر : مؤسسة انوار الرسول لاعظم ؛ طهران ؛ الطبعة التاسعة ؛ ٢٠١٢ - ١٤٣٣ هـ.
- نهج الفصاحة (الكلمات القصار للنبي ﷺ): پاينده ؛ أبو القاسم ؛ ت : ١٤٠٤ هـ ؛ الناشر: عالم المعرفة ؛ طهران ؛ الطبعة: الرابعة ؛ ١٤٢٤ هـ.
- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ الحر العاملي ؛ محمد بن حسن ؛ ت : ١١٠٤ هـ ؛ تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) ؛ الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) ؛ قم المقدسة ؛ الطبعة: الأولى ؛ ١٤٠٩ هـ.

الفهرس

الفهرس

المقدمة	٧
المدخل: فقهُ الوَحْدَةِ وَبِنَاءِ الْأُمَّةِ	١١
المبحث الأول: الأساس القرآني للوحدة الإسلامية	١٥
المبحث الثاني: الأسوة النبوية في بناء الجماعة المؤمنة	٢١
المبحث الثالث: الوحدة في منهج الأئمة (عليهم السلام)	٢٨
المبحث الرابع: فقه الاختلاف وإدارة التنوع	٣٦
المبحث الخامس: فتح باب الاجتهاد	٤١
المبحث السادس: الوحدة ومواجهة العصبية	٤٦
المبحث السابع: الوحدة والمشروع الحضاري للأمة	٥٢
المبحث الثامن: الأبعاد المتكاملة للوحدة الإسلامية	٥٨
مسؤوليتنا اليوم	٦٥
الباب الأول: الأساس القرآني والرسالي للوحدة الإسلامية	٦٩
مسؤوليتنا عن إقامة الدين ووحدة الأمة	٧٣
وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا	٨٥
الباب الثاني: الأسوة النبوية في بناء الجماعة المؤمنة	٩٥
العيد يرسّخ ... توحيد الكلمة	٩٩
الصدق في الدعوة إلى الوحدة والمواخاة	١٠٥
الباب الثالث: الوحدة في منهج أهل البيت (عليهم السلام)	١١٥
المحافظة على وحدة المسلمين	١١٩

سبيل توحيد المسلمين.....	١٣١
يوم الغدير أساس وحدة المسلمين.....	١٣٥
الباب الرابع: فقه الاختلاف والحوار والتقريب.....	١٤٥
جامعة المذاهب الإسلامية خطوة على طريق التقريب.....	١٤٩
الفقه الاجتماعي مظهر لحيوية الشريعة الإسلامية.....	١٥٣
الباب الخامس: السلم الأهلي والتعايش.....	١٦٥
درس نبوي في المصالحة المجتمعية.....	١٦٩
التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام.....	١٧٥
من مبادئ الإسلام في التعايش السلمي.....	١٨١
الحرمة الشديدة لسفك الدماء في الإسلام.....	١٨٩
الآمال معلقة بوثيقة مكة المكرمة.....	١٩٣
الباب السادس: مهددات الوحدة وسبل تحصين الأمة.....	٢٠١
السياسة النبوية المباركة في مكافحة داء التعصب.....	٢٠٥
نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان.....	٢٢٧
جامعة المذاهب الإسلامية مشروع ناهض.....	٢٤١
المشاريع الشيطانية التي أعدت لتمزيق الأمة.....	٢٤٥
الباب السابع: الوحدة وبناء الأمة والمشروع الحضاري.....	٢٤٩
{قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ}.....	٢٥٣
تنقية الأجواء السياسية.....	٢٦٣
المصادر.....	٢٦٧
الفهرس.....	٢٧٧

الحمد لله رب العالمين

